الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة السابعة والثلاثون

ذوالحجة ١٤٤٣ هـ - تموز ٢٠٢٢م

العدد ٤٣١

كلمة الوعي

الحرب الأوكرانية ومخاطر التضخم النقدي!!

الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٩
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

العدد ٤٣١
السنة السابعة والثلاثون
ذو الحجة ١٤٤٣هـ
تموز ٢٠٢٢م

• كلمة الوعي: الحرب الأوكرانية ومخاطر التضخم النقدي!! ٣
• النظام الاقتصادي الأمثل (١)
(الحاجة إلى العلم بالنظام الاقتصادي الإسلامي) ٧
• الصين وأمريكا ... التنافس الجشع ١٣
• تجديد الدين ١٧
• العلم والعمل بما يقتضيه الحال بين علماء الأمس واليوم ٢٨
• العربيّة... لغة مهدّدة بدون الإسلام، فمن لها؟ ٣٣
• ثقافة الهزيمة وتجارة المخدرات الفكرية ٣٦
• أخبار المسلمين في العالم ٣٩
• مع القرآن الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَـٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ ...﴾ ٤٢
• رياض الجنة: أيام عشر ذي الحجة... الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ من غيرها ٤٥
• فبهداهم اقتده: ثمامة بن أثال رضي الله عنه ٤٨
• كلمة أخيرة: مضاوي الرشيد: التطبيع مع (إسرائيل) ثمن لقاء بايدن بابن سلمان ٥١
• غلاف أخير: مؤتمر «حوار الأديان» بقطر بحضور مئات من العلماء يبيعون دينهم بدنيا أسيادهم ٥٢

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	$١ أميركي
باكستان	$١ أميركي
أستراليا	$٢,٥
أميركا	$٢,٥
كندا	$٢,٥
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرب الأوكرانية ومخاطر التضخم النقدي!!

حمد طبيب – بيت المقدس

إنها ليست المرة الأولى، ولن تكون الأخيرة التي يتهدَّد فيها النظام المالي الرأسمالي الغربي بالمخاطر الكبيرة التي تؤثر سلبًا وبشكل فاعل على كافة مفاصله الاقتصادية في الحياة؛ مثل النظام النقدي والعملات، والمؤسسات المالية كالبنوك والبورصات، ومؤسسات الإقراض الدولي كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، ونظام المبادلات التجاري عبر النظم الرأسمالية المتفق عليها كنظام سويفت والبيتكوين وغيرها، وقيم السلع والخدمات، ورواتب الموظفين والأجور، وغير ذلك من أمور متعددة ومتشعبة تتأثر سريعًا وبشكل فاعل بهذا النظام المالي.

ففي سنة ١٩٢٩م، أي بعد الحرب العالمية الأولى، حدث ما يسمى بالكساد الكبير نتيجة خلل حصل في الاقتصاد العالمي، خاصة في أمريكا على وجه الخصوص، وتسبَّب ذلك بانهيارات متسارعة في النظام المالي، شمل كل مفاصل هذا النظام تقريبًا؛ فاهتزّت البورصات في يوم واحد وتكبَّدت المليارات؛ حيث خسر مؤشر داو جونز في السوق المالي حوالى ٢٢٪ من قيمته في يوم واحد!! وبلغت الخسائر الأمريكية خلال بضعة أيام - من بداية الأزمة - حوالى ٣٠ مليار دولار؛ أي أكثر من الميزانية الاتحادية الأمريكية بعشر مرات. ولم تقف الأمور عند أمريكا، بل انتقلت إلى فرنسا وألمانيا وغيرها من الدول الأوروبية. واستمر الحال حوالى عشر سنوات متتالية. ولم تستطع أمريكا الخروج من هذه الأزمة المدمِّرة إلا بعد دخولها مرة أخرى مع دول التحالف في الحرب العالمية الثانية؛ حيث بدأت تتعافى شيئًا فشيئًا؛ والسبب في الأزمة كما يرى كثيرٌ من الاقتصاديين هو الكساد الذي حصل في الأسواق نتيجة توقف الحرب، وبالتالي توقف الآلة الصناعية الأمريكية عن الإنتاج، وظهور جيوش من العاطلين عن العمل، فأثَّر ذلك مباشرة على أسواق المال بكثرة العرض وقلة الطلب، فأثَّر على أسعار الأسهم فانخفضت بشكل كبير!! والمأساة نفسها تكرَّرت في أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث خرجت أوروبا من الحرب العالمية الثانية مكسورة الجناح اقتصاديًّا، وكادت أن تنهار اقتصاديًّا لولا تدخل أمريكا في مشروع مارشال، وهو مشروع إنقاذ أوروبا عبر عشر سنوات متتالية!!. وفي سنة ١٩٩٠م، حدثت مأساة في المعسكر الشرقي؛ نتيجة نفقات الحرب الباهظة في أفغانستان، ونتيجة المساوئ في النظام الاقتصادي الاشتراكي، ونتيجة سباق التسلح باهظ التكاليف في مجاراة أمريكا في مشروع حرب النجوم، وغيره من مشاريع عسكرية. وأدى هذا الانهيار المالي - مع عوامل أخرى - إلى تفكك المنظومة الاشتراكية بأكملها وانهيار النظام المالي وانهيار الاشتراكية برمتها كوجهة نظر عن الحياة، ونظام ينظم أمور البشر!!. وفي سنة ١٩٩٧م، حدثت مأساة مصطنعة في أسواق المال؛ حيث انهارت النمور

الآسيوية، وتأثَّرت بذلك أسواق المال العالمية، وتسبَّب بخسارات كبيرة حتى كادت أن تهدم دولًا بأكملها!!

ثم حدثت الأزمة المالية سنة ٢٠٠٨م، وهي ما تعرف بأزمة الرهن العقاري؛ حيث فقدت الأسواق المالية الكثير من قيمتها؛ وتسبَّب ذلك بانهيار مؤسسات مالية وبنوك، وكادت أن تهدم النظام المالي برمته في أمريكا، وبالتالي عالميًّا لولا تدخل الدولة، خاصة في أمريكا، عن طريق كسر أهم قواعد النظام الاقتصادي الغربي، وهو حرية السوق؛ فأنقذت البعض من هذه المؤسسات الحيوية!!

هذه بعضٌ من النماذج التي حصلت وما زالت تتكرر في العالم بين الفينة والأخرى. وإن العالم اليوم ليقف أمام مأساة جديدة قد بدأت تظهر بداياتها في العالم؛ وذلك نتيجة الحرب الأوكرانية، ونتيجة ما ترتب عليها من حروب اقتصادية تجاه روسيا، وربما تتدحرج في القريب تجاه الصين. فما هي الأمور التي تتأثر بشكل مباشر بهذه الأزمة العسكرية، وما هي طريقة إنقاذ البشرية من مآسيها الكبيرة؟

هناك أمور كثيرة تتأثر اقتصاديًّا بهذه الحرب أبرزها: التضخم المالي وارتفاع الأسعار، وبالتالي تقلّص قيمة الأجور الشرائية لدى العمال والموظفين نتيجة انخفاض قيمة النقد بسبب كثرة المعروض منه في الأسواق!

إن مسالة التضخم لا تنفك عن النظام الرأسمالي، وهي موجودة في كل الدول على تفاوت بينها؛ وذلك لأسباب عديدة أبرزها النظام النقدي العقيم الذي لا يستند إلى ذاته في قيمته، وبالتالي فإن الموجود منه في الأسواق، لا يمثل قيمته الحقيقية. وهذا يؤدي إلى التضخم، بالإضافة إلى أسباب أخرى سنذكرها عندما نتحدث عن طريقة المعالجة للمساوئ في النظام المالي بشكل عام. فعندما يزداد حجم النقود في السوق مقارنة مع حجم الاقتصاد الموجود؛ أي عن المستوى المطلوب، يسبب ذلك التضخم، فتنخفض قيمة النقود بين أيدي الناس، وترتفع الأسعار، وبالتالي تتناقص قيمة الأجور بشكل تلقائي أمام السلع والخدمات الأخرى. وتحاول الدول عادة معالجة التضخم بطرق معوجة من جنس النظام المطبَّق، فترفع سعر الفائدة الربوية، ليتم سحب كميات من النقود من الأسواق إلى البنوك، وبالتالي ترتفع قيمة النقد أمام السلع والخدمات، وتتحسن قيمة الأجور. إن هذه المعالجة وإن كانت تؤثر في مسألة التضخم، ولكن لها آثارًا مأساوية على مفاصل الاقتصاد الأخرى؛ مثل قلة المشاريع بسبب ارتفاع قيمة الفوائد البنكية على الإقراض، وهذا بالتالي يعيد المأساة نفسها في رفع قيمة السلع مرة أخرى، ويؤثر أيضًا على البطالة؛ حيث تزداد البطالة بقلة المشاريع الاقتصادية في المجتمع!!.

لقد حصل تضخم في معظم الأسواق المالية الغربية خاصة في أمريكا حتى بات الاقتصاديون داخل أمريكا يحذرون من مسألة الكساد وارتفاع أسعار السلع، وقلة الإنتاج وتناقص قيمة الأجور، وبالتالي حدوث اضطرابات مجتمعية داخل الولايات في أمريكا!!.

فقد ارتفع التضخم إلى أعلى مستوى منذ سنة ١٩٨١م؛ حيث بلغ هذا العام ٨,٥٪. فقد ذكر موقع (بي بي سي) ٢٠٢٢/٤/١٣م أن معدل التضخم في الولايات المتحدة سجَّل أعلى مستوى له منذ ٤٠ عامًا، بعد أن ارتفعت أسعار الوقود خلال الشهر الأول من الحرب في أوكرانيا. وارتفعت أسعار السلع بنسبة ٨,٥٪، وهي أكبر زيادة سنوية منذ كانون الأول ١٩٨١م. وحذرت وزيرة العمل الأمريكية في ١٢ كانون الثاني ٢٠٢٢م بالقول: «من شأن هذه الزيادة في معدل التضخم زيادة الضغوط على الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (البنك المركزي)، لتشديد السياسة النقدية؛ بتقليل حيازته من السندات والأوراق المالية، ورفع أسعار الفائدة... ومعدل التضخم حاليًّا أعلى بكثير من المستوى الذي يستهدفه المركزي الأمريكي عند ٢٪ على المدى المتوسط». وحذَّر روبرت هابيك؛ نائب المستشار ووزير الاقتصاد الألماني في مؤتمر دافوس الاقتصادي ٢٠٢٢م فقال: «لدينا ما لا يقل عن أربع أزمات متضافرة... لدينا تضخم مرتفع... لدينا أزمة طاقة... لدينا فقر غذائي... ولدينا أزمة مناخ.. لا يمكننا حل المشاكل إذا ركزنا على أزمة واحدة فقط...» وأضاف: «إذا لم يتمَّ حلُّ أيٍّ من المشاكل، فأنا أخشى حقًّا أننا سنواجه ركودًا عالميًّا، له تأثير هائل على الاستقرار العالمي»!.

إن هذا التضخم لا يتوقف، بل يزداد بامتداد أمد الحرب، وتأثير هذه الحرب والحصار على روسيا على كثير من أمور الاقتصاد العالمية؛ كارتفاع أسعار الوقود، وكانخفاض عدد السياح وارتفاع أسعار السلع والخدمات، وقلة التصدير إلى الخارج، وتذبذب السوق المالي وغير ذلك... والسبب في ارتفاع نسبة التضخم عالميًّا هو أن أمور الاقتصاد مترابطة، ويتأثر بعضها ببعض، ولا تنفصل واحدة عن الأخرى؛ سواء أكان في البلد الواحد كأمريكا أم في البلدان الأخرى. فقد أثرت الحرب على أمور كثيرة سلبًا، وبالتالي أدت إلى هذه الأمور الخطيرة على الاقتصاد العالمي برمته. فالحصار على روسيا أدَّى إلى ارتفاع أسعار كثير من السلع الحيوية؛ خاصة الطاقة والحبوب، وبالتالي أثَّر على حجم الصناعات والتصدير، وأثَّر كذلك على أسعار السلع الحيوية الأخرى، وأثَّر على حجم السياحة، وعلى الاستيراد والتصدير، وعلى أسواق المال العالمية. وكلما تأثرت واحدة من هذه الأمور تأثرت باقي مفاصل الاقتصاد في العالم. والظاهر أن الأمور تزداد ولا تتوقف، وربما تتدحرج كما ذكرنا إلى الصين وأحلافها فتزداد الأمور مأساة فوق مأساة.

إن السبب الأساس في موضوع التضخم لا يكمن في الأمور التي ذكرنا - لو كان النظام صحيحًا؛ تستند فيه النقود إلى قيمتها الذاتية - وإنما حصل ذلك بسبب النظام النقدي المكشوف الخاطئ،

والذي لا يستند إلى ذاته في قيمته، ولا يستند حتى إلى شيء ثابت من سلع وخدمات مقوَّمة بقيمته فقط. إن السبب الأساس هو النظام النقدي الـمُعوَّم عالميًّا، ولا يستند إلى قيمة حقيقية؛ لذلك تبقى مسألة التضخم مسألة ملازمة للنظام النقدي الرأسمالي، بالإضافة إلى تأثرها بالهزَّات السياسية والعسكرية والاقتصادية. ولو كان الأمر صحيحًا؛ أي يستند النقد في قيمته إلى الذهب والفضة لما حدث أصلًا تضخم، ولما حدثت مشاكل اقتصادية أخرى تتعلق بالنظام المالي.

إن مسألة التضخم النقدي هي سيئة من سيئات هذا النظام المتربع على عرش العالم، وهو نظام سقيم يعتمد على مصِّ دماء الشعوب، وعلى السلب والنهب عن طريق النظام النقدي. وفوق ذلك يتسبب للعالم بأزمات متعددة ومتجددة، في كل حين، ومنها مسألة التضخم التي تسلب من الناس مدَّخراتهم وأجورهم، وترفع عليهم أسعار السلع الحيوية لاستمرارية عيشهم وبقائهم، وتنشر الرعب والخوف في كل مناحي الحياة الاقتصادية، وتتسبَّب بأعراض شتى ترتبط بهذه المفاسد الكبيرة.

إن التخلص من مسألة التضخم المالي، وما تسبِّبه من مآس كثيرة على مفاصل الاقتصاد هو فقط بتطبيق النظام الصحيح في الناحية النقدية، وفي كل الأمور الحياتية المتعلقة بحياة البشر. وقد طبِّق هذا النظام إلى حدّ معين قبل الحرب العالمية الأولى، وكان الخطر أقل بكثير مما عليه الآن؛ أي كان النقد مغطى بنسبة كبيرة من الرصيد الذهبي، فكانت المخاطر الاقتصادية أقل بكثير - خاصة في مسألة التضخم المالي - والتي تهدد مفاصل الاقتصاد العالمي هذه الأيام بالمخاطر الكثيرة.

إن هذا النظام الصحيح لا يطبَّق إلا بشكل كامل متكامل، ولا يمكن تطبيقه في جانب واحد هو النظام النقدي؛ لأنه سرعان ما يكشف هذه الدول القائمة على السلب والنهب، ويكشف اقتصادها الواهي؛ لذلك يجب أن يطبق النظام النقدي جنبًا إلى جنب مع النظام الاقتصادي الإسلامي، ومن ضمنه النظام النقدي. وهذا لا يكون إلا في ظل دولة تؤمن بهذا النظام، فتطبِّقه في بلادها أولًا ثم تحمله رسالة خير وهدى إلى الناس جميعًا. عند ذلك تتهاوى كل هذه النظم السقيمة، وينكشف أمرها فيصدق فيها قول المولى عز وجل: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩﴾ [التوبة: ١٠٩].

نسأله تعالى أن تكون هذه الأحداث مقدمات لعودة الإسلام، وانكشاف مبادئ الكفر السقيمة، تمامًا كما انكشفت فارس والروم قبل بزوغ نور الإسلام، وتهيَّأت الأجواء لقيام دولة الإسلام. اللهم آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

النظام الاقتصادي الأمثل (١)

(الحاجة إلى العلم بالنظام الاقتصادي الإسلامي)

محمود عبد الهادي

أهمية العقيدة وأفكار الاقتصاد للنهضة

الاقتصاد من أهم عناصر قوة الدولة، وللاقتصاد القوي أثره البالغ في ازدهار المجتمع وكفاية أفراده، وفي امتلاكهم وسائلَ العيش وتنعمهم بها. وقوته ضرورية للدولة لتتمكن من امتلاك وسائل القوة لحماية حدودها ونظامها وأمنها الداخلي والخارجي، ولتطوير وسائل القوة والتقدم. كما أنه أكثر ضرورة للتأثير في الموقف السياسي الدولي وفي نشر الأفكار التي تقوم عليها الدولة.

إلا أن الاقتصاد ليس العامل الأهم بين عوامل القوة؛ إذ يسبقه في الأهمية بمقدار كبير الأفكارُ التي تقوم عليها الدولة وتحملها الأمة عن الحياة الدنيا، أي الأفكار عن طريقة العيش، وتسبقه أكثر العقيدة التي تشكل الأساس والقاعدة الفكرية لهذه الأفكار. وبغير هذه العقيدة فإن الأفكار التي تنبثق عنها تتبدل وتندثر، فتضعف الدولة وتسير في طريق الانحلال، ويفقد المجتمع عوامل ترابطه وأسباب وحدته، وتفقد الأمة أفكارها التي تتميز بها وخصائصها، وتصبح بلا طريقة عيش معينة، فتفقد وحدتها وتتلاشى عناصر قوتها، فتضعف وتفقد ثرواتها الاقتصادية التي تنقلب نقمةً عليها بدل أن تكون نعمة. بل إن فقدان الدولة للأفكار التي تقوم عليها يعني بالضرورة زوالها في الحقيقة وإن بقي لها هيكل في الظاهر، وفقدان المجتمع أو الأمة للأفكار التي تعتنقها والأفكار والمفاهيم التي تصوغ سلوكها وتُصور طريقة عيشها كفيل بأن تفقد العلوم والمعارف والثقافات التي تتميز بها، وكفيل بأن تجهل تاريخها وتنساه ثم أن تتنكر له.

إن الحقائق الأكيدة والوقائع المشهودة تنطق بهذا ولا تدع مجالًا لشك فيه أو استدراك، فلقد سقطت دولة المسلمين، رمز وجودهم ووحدتهم، وحافظة دينهم وأمنهم، ومبعث عزِّهم وقوتهم؛ الخلافة، سقطت بعد أن نالها من الضعف في إدراك أفكار الإسلام ما نالها. لم تفقد كل أفكارها عن الإسلام، ولا فقدت عقيدتَها أساسَ هذه الأفكار، وإنما أصابها ضعفٌ شديدٌ في فهم أفكار الإسلام فسقطت، وفقدت الأمة الإسلامية وحدتها السياسية، وصارت مِزَقًا متباينة، وتعددت ولاءاتها لغير الإسلام، وصارت مجتمعاتها أقرب في كثير من أفكارها وسلوكها إلى الكفر والكفار منها إلى الإسلام، ونبت فيها كثيرون ممن يُعَدّون – زورًا وخداعًا - نُخَبًا ومفكرين وقادةً وعلماءَ،

يفكرون على غير أساس الإسلام في الحكم والاقتصاد والتشريع، وكذلك يُنظِّرون ويُفتون في سائر شؤون المجتمع والعلاقات، بل ويتنكرون للإسلام ويهاجمون أفكاره وتاريخه ويصفونه بالتخلف ويصفون حمَلته بالظلاميين والإرهابيين، ويتآمرون عليه وعلى أمته.

وعليه، فما لم تتمكن أفكار الإسلام من المسلمين أو يتمكنوا منها فهمًا وسلوكًا؛ ليكون وجوب تطبيقها رأيًا عامًا مبنيًا على وعي عام، بأنها هي أفكار الشرع الموحى به من عند الله تعالى فلا ترِدُ المساومة عليها أو التنازل عن بعضها بمنافع أو وعود ولا بمخاطر أو تهديدات، ولا ينطلي عليهم تعديلها أو تحريفها بذريعة ضرورةٍ أو حاجةٍ أو تطويرٍ أو حداثة، ما لم ترجع هذه الأفكار رأيًا عامًا هكذا فلا سبيل إلى نهضة المسلمين وإقامة دولتهم واستئناف طريقتهم في العيش وحمل دعوة الإسلام إلى الناس، وضم سائر المسلمين واستعادة وحدة الأمة في ظلال راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

عودة الأمة إلى الإسلام كنظام شامل للحياة

ورغم كل ما حل بالمسلمين ويحل من نكبات ونكسات وكوارث ومجازر، ورغم كل ما بُذل من جهود ومؤامرات للقضاء على الإسلام وأمته ومحوهما من الوجود، فإن واقع الحال يؤكد أنهم يرجعون إلى فهم دينهم والتمسك به حيثما وجدوا في بقاع الأرض وزواياها، وقد صار إدراك أن الإسلام ليس دينًا كهنوتيًا كغيره من الأديان، ولا مجرد عقيدة روحية وعبادات فحسب، بل هو عقيدة مقنعة للعقل وينبثق عنها نظام لكافة شؤون الناس والحياة؛ الفرد والمجتمع والدولة، والمسلمين وغيرهم، وكل العلاقات، صار إدراك هذا الأمر رأيًا عامًا عند المسلمين، وهذا ما أرعب دهاقنة الكفر وملوكه من حكام الدول الكبرى وعملائهم وشَغَلهم، فراحوا يفكرون ويقَدِّرون ويتآمرون للقضاء على هذه العودة الحميدة للأمة وتوجهها المبارك.

لستُ في معرض ذكر الشواهد على هذا الأمر إذ ليس هو موضوعي هنا، ولكنني أكتفي بالاشارة إلى التوجه العالمي والشامل من الدول الكبرى وأدواتها لمواجهة هذه العودة الحميدة إلى فهم الإسلام بتسميتها إرهابًا، وبإصدار التشريعات وعولمتها لمحاربة الإسلام، ولاعتبار الساعين إلى إقامة الدولة الإسلامية إرهابيين ومتطرفين يجب القضاء عليهم وعلى أفكارهم، ولإطلاق القوانين لأجل ذلك وجعلها عُرفًا دوليًا. ولقد قطعت جَهِيزَةُ قول كل خطيب عندما وقف وزير خارجية روسيا في الأمم المتحدة ليبرر جرائمه، بل جرائم كل دول العالم، وقال عن ثورة أهل سوريا ضد جزّارها بشار أسد ونظامه الطاغوتي: «إن ما يجري في سوريا ليس ضد الدكتاتورية، وليس لأجل الديمقراطية، بل إنه ضد المجتمع الدولي لأجل إقامة أمة الإسلام». نعم، هكذا

يعلنون من أعلى منصة عالمية حقيقةَ مخاوفهم ومبررات مجازرهم ووحشيتهم. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ولقد وُجد رأي عام لصالح الإسلام ودولته وحكمه ولإسقاط النظم القائمة، إلا أن هناك جوانب من أنظمة الإسلام وقواعدها وتفاصيلها ما زالت مغيَّبة عن المسلمين؛ وذلك بسبب بعد العهد بينهم وبين الإسلام مطبقًا في الدولة، وبسبب محاربة الأنظمةِ القائمةِ الدعوةَ إلى الإسلام ودولته وأنظمته، وبسبب علماء السلاطين الذين يصرفون المسلمين عن حقائق دينهم، وغيرِهم ممن استحوذ عليهم الواقع الفاسد فصاروا يرَوْن أحكام الإسلام أو يفهمونها متأثرين بهذا الواقع وعلى أساس الأفكار الغربية السائدة فيه. وكان من أهم ما حصل الجهل فيه الأحكامُ المتعلقة بأنظمة الحكم والاقتصاد في الإسلام.

الجهل بالنظام الاقتصادي الإسلامي

وإنه وإن حصل وعيٌ إلى حدٍّ ما على نظام الحكم في الإسلام وقواعده وكثير من أحكامه، بسبب تركيز حمَلة الدعوة على هذا الجانب المهم، إلا أن الوعي على مثل ذلك في النظام الاقتصادي ما زال في الحضيض، لا أقول عند عوام المسلمين، بل عند علمائهم ونُخَبهم وعند المتخصصين في هذا الجانب، وعند دعاتهم في حركات إسلامية كثيرة، وهذا يعد نقصًا وعامل ضعفٍ في الصراع الفكري ينبغي الانبراء لمعالجته ولا يجوز إغفاله، وينبغي فرض المعرفة فيه على الرأي العام من خلال فرضها على العاملين والمتخصصين، وذلك بتقديم أفكار النظام الاقتصادي في الإسلام كحقائق وأحكام شرعية لها أدلتها، وكمعالجات عملية لمشاكل الناس والمجتمعات والعالم، وبتحويل هذه الأفكار إلى مفاهيم عند رواد العمل الاسلامي والمتخصصين.

إن العالم يعاني اليوم ويئن تحت وطأة الرأسمالية التي تقوم على أساس فصل الدين عن الحياة، وينبثق عنها أفكار الحريات العامة في الحقوق والواجبات، والديمقراطية في الحكم، والنظام الرأسمالي في الاقتصاد. وإن كان الغزو الفكري الغربي لبلاد المسلمين بهذه الأفكار قد نجح ردحًا من الزمن، وانتشى دهاقنة الكفر وأساطينه في الغرب والشرق بذلك فترةً من الزمن وعلى حين فتورٍ من المسلمين، فإن المسلمين ما لبثوا أن استيقظوا من سبات، وصحَوْا من غفلة، ليطهروا نفوسهم من أرجاس مادية الغرب والشرق، وليلقوا عن كواهلهم أثقال الذلة وينزعوا عن أعناقهم قلائد المهانة والتبعية، وليصرخوا في وجوه مستعمريهم وجلاديهم: لا؛ لا شرقية ولا غربية، إسلامية إسلامية، لا ديموقراطية ولا رأسمالية بل خلافة إسلامية. وبعد خداعات ومخادعات، وأناتٍ وتضحيات، ولجوءٍ إلى الله وحده؛ ما

لنا غيرك يا الله، انكشف الغرب ودهاقنته والشرق وأساطينه، وبرز حقدهم على الإسلام والمسلمين، ورعبهم من الحق والحقيقة؛ من الإسلام والخلافة. انكشفوا عن وحوشٍ بشريةٍ وشياطين من الإنس، وتهاوت كل مزاعمهم عن قيم الحرية والإنسانية والحقوق والقوانين، فإذا هم غارقون في الكفر والجشع والتوحُّش، ومتجاوزون في شذوذهم حدود الفطرة الإنسانية، حتى تملكتهم شهواتهم وتمكنت منهم ماديتهم وتلاشى عندهم أي اعتبار لقيمة روحية أو إنسانية أو أخلاقية. استحوذت عليهم شهواتهم فلم يبقَ عندهم اعتبار لشيء إلا للقيمة المادية، وحتى هذه فشلوا فيها وأورثتهم القلق والرعب والطواعين، وأورثت العالم بسببهم شقاءً يتقلب على أشواكه وسعيرًا يتلظى في لهيبه.

نعم، في خِضَمِّ هذا الصراع بين الإسلام الصاعد والرأسمالية المأزومة، لا يكاد يبقى أو يظهر في صراع الغرب ضد الإسلام إلا هذا الجانب، جانب النظام الاقتصادي الرأسمالي، والذي يقوم على السيطرة الاقتصادية على العالم بالقوة والخداع. وهو يدرك أن فقدانه لهذه السيطرة هي سقوطه وسقوط مبدئه واندثار طريقته في العيش. نعم، إن الاستعمار ليس سيطرة اقتصادية فقط، بل هو السيطرة الفكرية والسياسية والاقتصادية والعسكرية؛ ولكن الغرب سقط فكريًا، وقد صرَّح بعض قادته بأنهم خسروا الحرب الفكرية مع المسلمين، وفشل سياسيًا وانكشف بأنه كذَّاب مخادع، وأضحى لا يملك إلا القوة العسكرية لتنفيذ خططه وسياساته، وهو يخوض حروبًا عسكرية مع الأمة الإسلامية، يقتل فيها ويدمر ولكنه لا يُنهي حربًا ولا يكرِّس نصرًا، بل هو ينكشف سياسيًّا ويتردَّى أخلاقيًّا، وتزداد الأمة معرفةً بشذوذه ووعيًا على دينها وذاتها، وتزداد ثقةً بنصر الله لها وبعودة خلافتها، وتغذُّ الخطى مسرعةً نحو وحدتها، لا تقيم وزنًا لحدود خطَّها الكافر المستعمر في بلادها على حين كبوةٍ منها.

ورغم كل ذلك فإن الجهل بالنظام الاقتصادي في الاسلام، وبخصائصه في معالجة الإنسان، وبقدرته على تفجير الطاقات الهائلة للإنتاج الهائل، وفي استثمار كل موارد الثروة بشكل مثالي بل مُعجز، وفي توزيع الثروة على كل الأفراد وبأعيانهم، وبأحكامه التي تضمن تحقيق الكفاية لكل فرد يعيش في فيء ظلاله الوارفة، وكل ذلك من ضمن نظام كامل للحياة وشامل، لا يقتصر على حفظ عيش الناس واقتصادهم فقط، بل يحفظ عليهم أيضًا دينهم وأعراضهم وكراماتهم وأمنهم وأخلاقهم وطمأنينتهم، إن الجهل بهذا النظام يُفقِدُ حمَلة الدعوة أحد أهم مصادر القوة والحسم في هذا الصراع، ويُعطي العدو الكافر المستعمر مزيد فرص للخداع والنفاذ إلى تحقيق أهدافه في عرقلة نهضة الأمة وتأخير انعتاقها من أغلاله.

من علامات الجهل بأحكام الإسلام في الاقتصاد

إن من علامات هذا الجهل، ومن بقايا الانحطاط الذي أصاب الأمة، ومن أسباب إطالة أمد هيمنة الغرب الرأسمالي على المسلمين أن يصرح عالم مشهور بُعَيْدَ حصول الأزمة المالية العالمية في العام ٢٠٠٨م وأن يؤكد أن أمريكا ستخرج من أزمتها؛ لأن الرأسمالية – بزعمه ووهمه - تُجَدِّد نفسها! هكذا يصرح ويكرر فيقرر ما يخدع الغربيون ويخادعون به أنفسهم، بدل أن يبيِّن الحقيقة الصارخة بأن الرأسمالية هي سبب ظلم العالم وشقائه، وأنه قد انكشفت بهذه الأزمة - وبغيرها - عفونةُ أفكارها وجرائم منهجها والدمار الناتج عنها، وبدل أن يشرح حقيقة الرأسمالية بأنها تنهب الثروات وتُفقر الأغنياء وتقضي على الفقراء وتفترس الشعوب وتنهش لحومها، وبأنها عما قريب ستأكل نفسها وتنطفئ كما تأكل النار الحطب وتنطفئ، وستمسي رمادًا تشتدُّ به الريح في ليلٍ عاصف؛ بدلًا من ذلك فإنه يروِّج لها بأنها تجدِّد نفسها وكأنها آية العدل بين العباد، ومنتهى الإبداع في الاقتصاد!

ومن علامات هذا الجهل، ومن دلائل محاربة الإسلام كنظام قادم للتطبيق في دولة الخلافة، ومن دواعي التركيز على بيان النظام الاقتصادي في الاسلام وقواعده وأحكامه، أنه أثناء الثورات التي قامت في بعض البلاد العربية وظهور توجُّه عارم عند الشعوب لانتخاب من يسعى لتطبيق الإسلام تبين أمران:

الأول: إن الشعوب بعمومها تطالب بالإسلام، ولكنها في كثير من الأحكام المتعلقة بالحكم أو الاقتصاد أو العلاقات الدولية، لا تميز بين ما هو إسلام وما هو ليس كذلك، وهذا لم يكن مقتصرًا على عوام المسلمين، بل كان ظاهرًا في مشايخ وعلماء وروَّاد في العمل الإسلامي، وقد كان هذا جليًا في الدستور المصري الذي أقر في العام ٢٠١٢م؛ حيث عدَّه كثير من رموز العلم والعمل الإسلامي دستورًا إسلاميًا فيما هو يعجُّ بالكفر عجًّا.

الثاني: عندما ظهر تعبير النظام الاقتصادي الاسلامي كنظام تريد الشعوب تطبيقه، تصدَّت رموز علمانية وأجهزة إعلامية وشخصيات مختلفة، تتساءل تارةً باستنكار لهذا التعبير وتارة بسخرية منه وتتبجح بقولها: ما هو النظام الاقتصادي الاسلامي؟! هل هناك نظام اقتصادي إسلامي؟! وهل هناك نظام اقتصادي غير هذا النظام الرأسمالي الذي يعرفه العالم، والذي يمثِّل ذروة التطور الذي تفتقت عنه عبقرية البشر؟!

إن هذين الأمرين يدلَّان على مواطن ضعف ينبغي التركيز عليها في مخاطبة جماهير المسلمين والعلماء والمتخصِّصين وحملة الدعوة؛ إذ ينبغي إيجاد الرأي العام الإسلامي الصحيح، ونبذ كل فكر آخر وعدم الوقوع في أحابيله وفخاخه، وبخاصة فيما يتعلق بدساتير غير إسلامية يُزعَم أنها

إسلامية، وبأنظمة حكم واقتصاد غير إسلامية يُزعم أنها إسلامية. فواقع الحال يقتضي مزيد اهتمام وجهد بمواطن الضعف هذه، وبخاصة المذكور أعلاه في الأمر الثاني حول النظام الاقتصادي الإسلامي.

إن المبدأ الرأسمالي يتهاوى، ووجود مطامع غربية في نشره وتحميله للمسلمين وجعله بديلًا عن الإسلام ليس إلا غرورًا جاوز كل حد، ويدلُّ على جهل كبير في فهم واقع الأمة الإسلامية وحركتها واتجاهها، وعلى جهل لا نهاية له في تقدير تأثير الإسلام وعقيدته في المؤمنين به عندما يعُون أفكاره وأحكامه وتصبح مفاهيم لديهم. ويكاد اليوم لا يبقى تأثير كبير لغزو الفكر الغربي على المسلمين إلا في أفكار الاقتصاد والسياسة الاقتصادية، ومن هنا يأخذ الاهتمام بأفكار وأحكام النظام الاقتصادي الإسلامي أهميته، وتزداد هذه الأهمية لما للاقتصاد وقوته من دور وتأثير في الحياة وفي قوة الدولة، وفي القدرة على تنفيذ المشاريع وإنجاز الأعمال وتحقيق الأهداف. وغالبية أعمال الفرد والدولة لا تخلو من أحكام تتعلق بالمال والاقتصاد، وكما يقال فالمال عصب الحياة.

وفي ختام هذا الكلام، وفي مورد استكمال البحث فيه، لا بد من بيان الظلال الوارفة لنظام الاقتصاد الإسلامي وبيان حقيقة الشقاء والسعير والخداع والظلم الذي يقابله في النظام الغربي الرأسمالي، ولا بد معه من بيان القواعد العامة والخطوط العريضة للنظام الاقتصادي في الإسلام، على طريقة (والضد يُظهر حسنَه الضدُّ) وفي هذا المجال لن نجد أفضل من الاعتماد على كتاب (النظام الاقتصادي في الاسلام) لفضيلة العلاَّمة المجدِّد الشيخ تقي الدين النبهاني؛ حيث لم أجد في هذا الباب مثله في عمقه وإحاطته، وموضوعيته وعبقريته، ثم ما أعدَّه هذا الشيخ العلاَّمة، من مواد دستورية في هذا المجال، جاءت من ضمن مشروع دستور أعدَّه حزب التحرير للدولة الإسلامية المرتقبة قريبًا بإذن الله تعالى، وهو متوفر كاملًا في كتاب: مقدمة الدستور أو الأسباب الموجبة له، من منشورات حزب التحرير. والقصد من ذلك هو إظهار نموذج للدستور الإسلامي، ولصياغة مواده كدستور أولًا، وكدستور للدولة الإسلامية ثانيًا، وليكون ردًا على المستهزئين المنكرين لوجود نظامٍ اقتصاديٍ إسلاميٍ فريدٍ ومتميزٍ ومستمَدٍّ مما أوحاه الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ، ومستنبطة أحكامه وقواعده بطريقة الاجتهاد الشرعية الثابتة المنضبطة بالأصول الفقهية والمصادر الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله والقياس الشرعي وإجماع الصحابة حصرًا. وفي هذا سنجد بين أيدينا نظامًا اقتصاديًّا إسلاميًّا عصريًّا مستنبطة أحكامه على طريقة الأوائل في الاستنباط يستحق أن يطلق عليه (النظام الاقتصادي الأمثل)... هذا ما سنتناوله في أعداد لاحقة حتى يستكمل بحثنا هذا، وعلى الله قصد السبيل. [يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الصين وأمريكا ... التنافس الجشع

الكاتب: المهندس : خالد السراري – اليمن

يتجلَّى للعالم اليوم بكل وضوح الصراع الدائر بين الصين من جهة وأمريكا من جهة أخرى، والذي يتَّسع ويكبر بين الطرفين يومًا بعد يوم، والذي تقف فيه أمريكا موقف المهاجم للعديد من السياسات الصينية، بينما تقف الأخيرة في موقف المدافع وتطلب من الولايات المتحدة الهدوء وعدم اللعب في النار، وسنتطرق لتفصيل ماهية الصراع الدائر بين الدولتين وأسبابه ودوافعه، فنستعرض أولًا أوجه الصراع الأمريكي الصيني المتعددة ومنها:

على الصعيد الاقتصادي، قام الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بشنٍّ حرب تجارية على الصين حين أعلن في ٢٠١٨/٣/٢٢م عن وجود نية لفرض رسوم جمركية تبلغ ٥٠ مليار دولار أمريكي على البضائع الصينية الذي دخل حيز التنفيذ في السادس من يوليو/ تموز. وكردٍّ انتقاميٍّ من الحكومة الصينية، فقد فرضت رسوم جمركية على أكثر من ١٢٨ منتج أمريكي أشهرها فول الصويا. فبعد انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية في عام ٢٠٠١م، أصبحت الولايات المتحدة والصين أهم الشركاء التجاريين. استوردت الولايات المتحدة من الصين باستمرار أكثر مما صدرته إليها، مع ارتفاع العجز التجاري الثنائي للولايات المتحدة في السلع مع الصين إلى أن وصل إلى ٢,٧ ترليون دولار حتى أواخر سبتمر الماضي. وكانت الحكومات الأمريكية المتوالية تشكو من العجز الثنائي التجاري الضخم وتقدم الاتهامات للصين كأسعار الصرف غير المرنة وسياسة الإغراق التجاري الذي تمارسه الصين للمنتجات المحلية الأمريكية؛ حيث تقوم الصين بإقراض الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق شراء السندات الأمريكية وأذون الخزانات من أجل رفع الطلب على الدولار الأمريكي عالميًّا، ومن ثمة رفع قيمته أمام اليوان الصيني لرفع نسبة الواردات الصينية للسوق الأمريكية مقارنة بالواردات الأمريكية. من الناحية الأخرى لا تستطيع الصين تحصيل ديونها من أمريكا حتى لايفقد الدولار قيمته فتقل قيمة المدخرات الصينية، وبالرغم من ذلك استمرَّ النمو التجاري بين البلدين لتصبح الصين ثاني أقوى اقتصاد بالعالم بعد الولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما تراه الأخيرة تحديًّا للهيمنة الاقتصادية والجغرافيا السياسية الأمريكية. وتسعى الصين كذلك للهيمنة على التجارة البحرية عن طريق السيطرة على أهم

الموانئ الاستراتيجية لتسهيل دخول منتاجتها إلى أسواق العالم، فهي تسيطر على مايقارب ٤٢ ميناء في ٣٤ دولة حول العالم عن طريق إيقاعهم في فخ الديون أو شراء حصص من الشركات المشغلة للموانئ؛ حيث تتهم أمريكا الصين بفرض سياسة استعمارية على موانئ العالم وتنكر الأخيرة.

على الصعيد السياسي والعسكري: قامت أمريكا بعدة محاولات لجر الصين إلى سباق تسلح لاستنزاف الاقتصاد الصيني كما فعلت من قبل مع الاتحاد السوفياتي إبان مايسمى بالحرب الباردة في أربعينات وخمسينات القرن الماضي. وتعي الصين هذا الفخ الأمريكي، وتحاول عدم الانجرار في أي سباق تسلح مع أي دولة مع المحافظة على بعض الخطوط الحمراء التي تكشِّر الصين عن أنيابها إذا ما حاولت أمريكا تجاوزها. فأمريكا ترى أن الصين لم تتمكن من فرض سيطرتها على بحر الصين الجنوبي ومنطقته بعد، وهي تحاول ذلك، فتريد أن تمنعها من هذه السيطرة وتشغلها فيها وبواسطة الدول في هذه المنطقة، وتحاول أن تبقيها دولة كبرى إقليمية محاصرة من كافة الجوانب. ففي بحر الصين الجنوبي هناك دول عديدة منها إندونيسيا وماليزيا والفلبين وفيتنام تعمل أمريكا على تحريكها ضد الصين. وقريب من هذا البحر في المحيط الهادئ هناك أستراليا حيث تنسق معها أمريكا للعمل ضد الصين. وفي بحر الصين الشرقي هناك اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية، وهذه الدول من حلفاء أمريكا. وقد اعترفت أمريكا بالصين الموحَّدة على أن تتوحد مع تايوان طواعية. وقد تراجعت على عهد ترامب عن هذا الاعتراف، فقامت الصين وهددت بغزو تايوان فتراجع ترامب وعاد واعترف بالصين الموحَّدة، وهي الاتفاقية التي وقعتها أمريكا مع الصين عام ١٩٧٩م، على أن تتم الوحدة بالتفاهم وبالتدرج وبالتقاربات الاقتصادية والسياسية؛ ولكن أمريكا تضع العراقيل في وجهها، فتعمل على تسليح تايوان ودعمها سياسيًّا واقتصاديًّا. «وقد حذر الأدميرال الأمريكي فيليب ديفيدسون قائد القوات الأمريكية في منطقة المحيط الهندي والهادي (إندوبام) يوم ٢٠٢١/٣/١٠ من أن الصين قد تغزو تايوان في غضون ٦ سنوات أي بحلول عام ٢٠٢٧» وقال أمام الكونغرس: «أخشى أن يكون الصينيون بصدد تسريع مشروعهم الرامي للحلول محل الولايات المتحدة بصفتها أكبر قوة عسكرية في تلك المنطقة بحلول عام ٢٠٥٠»... الجزيرة ٢٠٢١/٣/١١م). فأمريكا تتخوف من ضم الصين لتايوان التي اعتبرت جزءًا منها باعتراف أمريكا؛ ولكن هناك مماطلة لتحقيق ذلك، ويظهر أن الصين قد ملّت هذه المماطلات وألاعيب

أمريكا بعرقلة تحقيق هذه الوحدة وترى أنها لا تريدها، فيظهر أن هناك تهديدًا جديًا من الصين لتايوان، وهي قادرة على ضمها بالقوة؛ ولكن يبدو أنها لا تريد أن تخسر علاقاتها التجارية مع أمريكا وربما مع دول أخرى كثيرة عندما تؤلِّب أمريكا عليها دول العالم إذا ما أقدمت على هذه الخطوة.

على صعيد التكنولوجيا: نجد أن الولايات المتحدة الأمريكية قد شنَّت هجومًا على شركة هواوي الصينية متهمة أياها بعدة انتهاكات، واعتقلت السلطات الكندية منج وانزو المديرة المالية لشركة هواوي عملاق صناعة الاتصالات الصينية في ديسمبر ٢٠١٨م بناءً على طلب من السلطات الأمريكية، ويأتي ذلك من أجل الهيمنة على التكنولوجيا المتقدمة بين الصين التي تسعى للسيطرة على مجال التكنولوجيا والولايات المتحدة التي تحاول الحفاظ على مكانتها. وتُعتبر شركة هواوي أكبر منتج لمعدات الاتصالات في العالم، وثالث أكبر مورّد للهواتف الذكية، وصاحبة عدد هائل من مكاتب البحث والتطوير، ومالكة لعشرات آلاف براءات الاختراع. فهي تعتبر أكبر شركة صينية لإنتاج معدات الاتصالات في العالم، وتنتشر منتجاتها في أكثر من ١٧٠ دولة حول العالم. فقد أدى هذا إلى تزايد المخاوف الأمريكية من تصاعد هيمنة الصين على التكنولوجيا المتقدمة ما يهدد أمريكا على المستوى الاقتصادي والعسكري، فقد أصدرت وزارة التجارة الأمريكية قرارًا بمنع شركتي هواوي وZTE الصينيتين من شراء معالجات الهواتف الذكية والمحمولة من شركة «كوالكوم» الأمريكية عملاق صناعة الرقائق الإلكترونية المتخصصة في تكنولوجيا نظم الاتصالات على خلفية مزاعم بانتهاكها لوائح إدارة التصدير الأمريكية وبيع منتجات لإيران. كما سعت إدارة «ترامب» أيضًا إلى فرض قيود على الشركات التي بها نسبة مساهمة صينية تتجاوز ٢٥٪ والتي تسعى للاستثمار أو حتى شراء تكنولوجيات أمريكية متقدمة في مجالات محددة معظمها يتعلق بالأمن القومي، مثل صناعة الشرائح الدقيقة والتشفير، فضلًا عن الذكاء الاصطناعي والروبوتكس، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط، بل أيضًا منعت إدارة «ترامب» الطلاب الصينيين الذين يدرسون مجالات لها علاقة بالتكنولوجيا من الحصول على فيزا أكثر من عام واحد، وفي هذا السياق دعا وزير الدفاع الأمريكي إلى مزيدٍ من الإنفاق في مجال الذكاء الاصطناعي خشية الطموح الصيني بالرغم من الفجوة الواسعة في قطاع التصنيع الصيني مقارنة بأمريكا.

كذلك قامت أمريكا باللعب على الوتر الإنساني ضد الصين عن طريق إبراز الجرائم

البشعة والإبادة التي تقترفها الصين بحق مسلمي الإيغور في تركستان الشرقية، فقد أعلنت أمريكا مقاطعتها للألعاب الأولمبية الشتوية المقامة في الصين في عام ٢٠٢٢م، بالطبع ليس من جانب إنساني فقد ارتكبت أمريكا جرائم أبشع بحق المسلمين في سوريا والعراق والصومال وأفغانستان، والقائمة تطول بحيث لا يسعنا ذكرها هنا ولكنها ظاهرة للعالم أجمع؛ ولكن لإضافتها إلى أوراق الضغط التي تستخدمها أمريكا ضد الصين في هذا التنافس الجشع على الهيمنة على العالم.

إن الصراع الأمريكي الصيني يتجلَّى للعالم وبشكل واضح كصراع هيمنة للتحكم بثروات ومصير الشعوب. فالدولتان تتسابقان لمنصب الدولة الأولى في العالم الذي تتبوؤه أمريكا حاليًّا، وتسعى الصين لانتزاعه منها، وهو ليس صراع مبدئي، أي لفرض مبدأ ما، فالدولتان تحملان المبدأ الرأسمالي وإن كانت الصين تحمل المبدأ الاشتراكي ظاهريًّا فقط، فإننا نرى وبكل وضوح المبدأ الرأسمالي في كل تعاملاتها الداخلية والخارجية.

وبالرغم من المنافسة الشرسة بين الدولتين فإن الصراع الحقيقي الذي تخشاه أمريكا هو مع الإسلام، فهي تعي جيدًا أن الإسلام مبدأ متكامل وليس ديانة للتعبد فقط، ووجود دولة تحمل المبدأ الإسلامي كدولة الخلافة الإسلامية سيمحي مبدأها الرأسمالي المتعفِّن الذي ظهر عواره للناس، فهي تعمل بشكل متواصل لطمس أي فكرة أو حركة تسعى لإقامة دولة الخلافة الإسلامية الراشدة على منهاج النبوَّة؛ لأن قيام دولة الخلافة هو تهديد لوجودها، فالمبدأ الإسلامي منزَّل من الله عز وجل خالق الكون كله، وهو أعلم بتسيير شؤون خلقه، ولن يجد المبدأ الرأسمالي فرصة أمامه غير السقوط السريع والمدوِّي، وهذا هو الصراع الحقيقي الذي يجب أن يتنبَّه له المسلمون والعمل لإقامة دولتهم الراشدة التي ستحرِّرهم من عبودية الغرب وعلى رأسهم أمريكا، وستكفل العيش الكريم العزيز لكل المسلمين تحت ظلها. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾.

وفي الختام، فإني أسأل الله سبحانه أن يعجل بإقامة الخلافة على أيدي العاملين لها من المسلمين، فيتحقَّق على أيديها كل ما بشرنا به رسول الله، فتشرق الأرض بعز الإسلام من جديد، وتخفق راية الإسلام فوق ما سواها من رايات ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

تجديد الدين

يوسف الساريسي - بيت المقدس

لقد جعل الله تعالى في حياة الجماعات البشرية سننًا ونواميس تحفظها من الفساد كسنة التدافع وتداول الأيام بين الناس، وسنة تعجيل إهلاك الباغي المتجبِّر، وسنة كون النهضة لا تكون إلا بالفكر ... وغيرها. وجعل سبحانه وتعالى كذلك سننًا خاصة بأمة الإسلام تحافظ على بقاء دين الإسلام وحفظه، فيكون دينه الخاتم هذا دينًا صحيحًا وصالحًا لكل زمان ومكان، ويكون دينًا ظاهرًا على كل الأديان والمبادئ، فكان من نعم الله الكثيرة على أمة الإسلام أنه سبحانه تولَّى حفظ كتابها ودينها من التحريف، وجعل فيها في كل عصر طائفة ظاهرة على الحق، فمن أراد الحق وجده عند تلك الطائفة، وبالتالي فلا يخلو أي عصر من دعاة للحق يكونون شهداء على الناس. وكذلك كان من نعم الله تعالى على المسلمين صونًا لدينهم أنه يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لهذه الأمة دينها، كما قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه أبو داود: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»، فيقوم المجدد بتجديد أمر الدين، فيبيِّن الفهم الصحيح للإسلام، ويزيل عنه ما علق به مما ليس منه، ويجتهد لحل أكبر المشكلات التي تواجه المسلمين. فكانت هذه النعمة من أعظم النعم على المسلمين بفضل الله ومنَّه؛ ليبقى هذا الدين حجة على العالمين إلى يوم القيامة بوصفه الدين الخاتم، وتكون أمة الإسلام شاهدة على باقي الأمم.

وهنا لا بد أن يرد السؤال: لم يحتاج الدين إلى التجديد؟ والجواب على ذلك أن الإسلام دين يطبقه الناس في حياتهم، بما فيها من سنة التدافع بين الأفكار الإسلامية وغيرها، وإفراط وتفريط في التطبيق، وبما فيها من وقائع تستجدُّ تحتاج لإنزال الأحكام الشرعية عليها، الأمر الذي ينتج عنه احتمال دخول أفكار غريبة على الإسلام نتيجة التدافع، وضعف الفهم نتيجة الإفراط والتفريط، وانفكاك ارتباط الوقائع بالأحكام الشرعية إن لم يحصل الاجتهاد فيها... وهذه العوامل - إن طال عليها الأمد - أنتجت جمودًا وانفصالًا بين الإسلام وبين الواقع، مما يستدعي المداومة على التجديد.

وقبل أن نبدأ بمناقشة معنى التجديد وواقعه، سنبدأ أولًا بالتعرض لفكرة انبعاث مشروع تجديد الدين في العصر الحديث عند بعض مفكري المسلمين، والتي يظهر بأن الدافع لوجودها عندهم ليس دافعًا إسلاميًا، بل هو تقليد للغرب في الأساس؛ حيث افتُتِن المسلمون بأمم أوروبا الرأسمالية منذ بداية القرن التاسع عشر، وقلَّدوهم في كل شيء،

وكان من جملة ذلك أمر تجديد وإصلاح الدين؛ لذلك نرى أنه من المستحسن أن نعرج قليلًا على تاريخ نشأة فكرة الإصلاح والتجديد لدى أوروبا النصرانية قبل عصر النهضة لنرى ما فعلته بهم وبأمر دينهم، فتكون لنا فيهم عبرة!

نشوء فكرة الإصلاح والتجديد في أوروبا

كانت أوروبا قبل القرن السادس عشر الميلادي ترزح تحت استبداد الكنيسة الكاثوليكية، الأمر الذي دفعَ للثورة وقيام حركات الإصلاح في أوروبا، من بروتستانتية إلى علمانية إلى ثورات حقيقية على القياصرة والملوك كالثورة الفرنسية، والتي انتهت بتغيير الفكر وأنظمة الحكم في أوروبا.

وقد نادى القس الألماني مارتن لوثر بالإصلاح الديني في بداية القرن السادس عشر بدعوى إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من سلطة تفسير الدين والعصمة عن الخطأ وصكوك الغفران التي كان محصورة في بابا الفاتيكان في روما، وقد نادى لوثر بضرورة إعادة فهم العهد الجديد أي الإنجيل والعهد القديم أي التوراة وفق رؤية جديدة، وهذه كانت بداية فكرة التجديد الديني للنصرانية في أوروبا، ثم نشأ عن دعوته تلك المذهب البروتستانتي، وبذلك انقسمت النصرانية إلى ثلاث فرق هي الأرثوذوكسية الشرقية والكاثوليكية البابوية الغربية والبروتستانتية. وقد تولَّدت عن هذا المذهب البروتستانتي الجديد كنائس نصرانية لا حصر لها، كل لها عقيدتها وتشريعاتها ومنهجها الديني المستقل، وبذلك تشظَّت الكنيسة النصرانية الغربية إلى طوائف وكنائس متعددة ومتناحرة فيما بينها، ومرجع ذلك إلى فكرة الإصلاح الديني اللوثرية.

وقد تقبَّلت الكنيسة البروتستانتية - فيما بعد - فكرة العلمانية الجديدة التي نشأت في أوروبا بعد الصراع بين رجال الدين والملوك والقياصرة من جهة والمفكرين والفلاسفة من جهة أخرى، بعد أن ثاروا على فكرة الحق الإلهي واستبدلوا بها فكرة الحق الطبيعي وضرورة فصل الدين عن الحياة أي العلمانية. وكان أول من تقبل فكرة فصل الدين عن الدولة هي الكنيسة البروتستانتية في بريطانيا بعد ثورة كرومول سنة ١٦٨٠م، وبذلك نشأت جذور المبدأ الرأسمالي الجديد والعلمانية من بريطانيا.

ابتداع فكرة التطور في أوروبا

بعد أن تخلَّت أوروبا عن الدين وفصلته عن الحياة، كان لا بد لها من وضع تشريعات وقوانين بعيدًا عن الدين، وقد أخذ الأوروبيون عن الإغريق والرومان ما يسمى بالقانون الطبيعي بدل تشريعات الكنيسة، وواقع القوانين الطبيعية أنها ثابتة ولا تتغير، في حين أن القوانين التي يشرعونها يضطرون باستمرار إلى تغييرها وترقيعها وأقلمتها مع الواقع.

وهذا الأمر أحدث مشكلة عندهم لأن القوانين البشرية (الديمقراطية) متغيرة حسب أهواء البشر ومصالحهم، وهذا يناقض قوانين الطبيعة الثابتة. وكان لا بد من تبرير لهذا الأمر بزعم أن الطبيعة نفسها تحوي قانونًا للتطور؛ ولذلك اخترعوا أو ابتدعوا فكرة خيالية سموها التطوُّر واعتبروها قانونًا في الطبيعة؛ حيث زعم منظِّرو التطوُّر بأنه لا بد للقانون والنظام البشري أن يتطوَّر؛ لأن هذا هو قانون الطبيعة

في الأصل، وهي في تغيُّر وتطوُّر دائمين، فيجب أن تتلاءم القوانين التي يشرِّعونها مع ما يستجدُّ من ظروف ووقائع، والأنظمة التي لا تتطور مع مرور الزمن، سيؤدي تراكم المشكلات أمامها إلى عجزها عن مسايرة الواقع فتصبح جامدة وفاشلة، وبالتالي فهناك حاجة مستمرة إلى استبدال قوانين عصرية متطوِّرة ومتحضِّرة بها!!

ولأن العلم التجريبي عند الغرب هو أساس الصحة والصلاح، فقد استغلَّ الأوروبيُّون علم الحياة لإثبات دعوى التطور وأنه قانون طبيعي في حياة الكائنات الحية. فنشأت مدرسة التطوُّر الطبيعي في فرنسا على يد جورج دي بوفون، ثم ابتدع داروين في إنجلترا نظرية التطوُّر (النشوء والارتقاء)، بعد أن دمج في نظريته بين أفكار مدرسة الوضع الطبيعي وأفكار مدرسة التطور الطبيعي.

وعليه عندما يدَّعي واضعو الأنظمة الرأسمالية وكذلك الاشتراكية، بأن التطوُّر والتقدُّم والتجدُّد هي من قوانين الطبيعة ولا بد منها، وهي التي تبقي الأنظمة والأفكار حيَّة تنمو وتتطوَّر، ومن لا يتطوَّر فإنه سينقرض ويفنى حتمًا، بناء على نظرية داروين... هذا الادِّعاء هو تعبير عن الفشل ولكن باستخدام ألفاظ ملتوية، فإذا كان القانون والنظام لا يصلح ولا يستطيع معالجة المشاكل والوقائع التي وجد من أجل حلِّها، فهو قانون ونظام فاشل وفاسد. وما قيام واضعيه بعمليات تغيير في أسسه وتفصيلاته تحت شعار التطوُّر والتحديث، إلا محاولات لإخفاء هذا الفساد والفشل تحت شعار التطوُّر والحداثة.

مع أنهم لو تفكَّروا عميقًا لوجدوا أن معيار صلاح ونجاح أي نظام أو قانون هو قدرته على حلِّ المشكلات بواسطة قواعده وأسسه التي قام عليها، وإذا استجدَّت مع الوقت وتغيُّر الظروف قضايا ووقائع جديدة، واستطاع هذا النظام والقانون علاجها دون الخروج عن هذه القواعد والأسس، فإنه يعتبر ناجحًا، أما إذا لجأ القائمون عليه إلى محاولات متعسِّفة لتغييره وتكييفه وفق الظروف المستجدَّة، بالقيام بتأويلات فاسدة للقانون فيخرجون عن أسسه وقواعده، فينحرف عن مقاصده ومعاييره، فهذا يدل على فساد وفشل هذا القانون في حلِّ المشكلات المستجدة.

وعليه فدعوى التطوُّر والتجديد هي محاولة للتهرُّب من نتائج الفساد والفشل في الأنظمة والقوانين، وفقًا للمعيار الذي يحدِّد بأن صلاحية الأنظمة والقوانين هو قدرتها على إيجاد حلول ناجعة للمشاكل، وليس بناء على قدرتها على التلوُّن والتمطُّط والترقيع تحت عنوان التطور الزائف.

نشوء تيار الإصلاح و«التجديد» عند المسلمين

غزت فرنسا بقيادة نابليون مصر سنة ١٧٩٨م ثم فلسطين وانسحب منهما سنة ١٨٠١م، وتولَّى بعدها محمد علي باشا حكم مصر، وكان من أعماله أن أوفد نخبة من شباب مصر ليتعلموا من علوم أوروبا، والذين عاد بعضهم مضبوعًا بالأفكار الأوروبية الجديدة من ديمقراطية وحريات وأنظمة رأسمالية، بعدما انبهروا بتقدم أوروبا الصناعي والحضاري، وقد قاموا بنشر هذه الأفكار الجديدة في مصر

وما جاورها، وكان من رموز هذا التيار رفاعة الطهطاوي وعبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي وغيرهم.

وكان من رجْعِ وجود تيار جديد ينادي ويدعو إلى تقليد أوروبا في حضارتها وأنظمتها، أن نشأ تيار آخر ينادي بالتوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية وهو تيَّار المدرسة الإصلاحية، وكان على رأس هذا التيَّار جمال الدين الأفغاني؛ حيث بدأ يبث أفكار التجديد والإصلاح بين المسلمين. وقد تأثَّر بالأفغاني جماعة من علماء الأزهر وأبرزهم محمد عبده الذي أصبح شيخًا للأزهر، الذي كان من تلاميذه محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، ثم استمرَّ هذا التيَّار الإصلاحي الوسطي - الذي يحاول التوفيق بين الحضارة والمبدأ الرأسمالي وبين حضارة الإسلام ومبدئه - وانتشر على شكل حركات وجماعات وأفراد في مختلف بلاد المسلمين.

ومن أبرز ما تنادي به المدرسة الإصلاحية عند المسلمين فكرة التجديد والإصلاح الديني. وهذه الفكرة - إذا تعمقنا فيها جيدًا- نجد أنها تشابه ما قام به نصارى أوروبا حين نادَوا بفكرة الإصلاح الديني، والتي كان من أبرز نتائجها قبولها بالعلمانية وفصل الدين عن الحياة. فقد عمدت المدرسة الإصلاحية إلى أخذ ما عند الغرب من ديمقراطية في الحكم ومن نظام اقتصادي رأسمالي وتغليف هذه الأمور بغلاف شرعي تحت غطاء فكرة التجديد والتوفيق؛ ولكن هذا التيَّار الإصلاحي لم يوافق - بشكل صريح - على فكرة العلمانية - كما حصل عند البروتستانت في أوروبا - وإنما أراد الاستفادة مما عند الغرب من أنظمة في الاقتصاد والحكم، فيما يحتفظ بعقائد الإسلام وعباداته وأخلاقه.

وقد حاول الإصلاحيون تجديد الدين من خلال البحث في شريعة الإسلام عن أمور تجيز الأخذ بما عند الغرب من أنظمة وأفكار، فوجدوا أحاديث للرسول عليه الصلاة والسلام تنص على التجديد، فكان ذلك وأمثاله مدخلًا لهم لتغيير أمور في الدين لتوافق ما عند الغرب تحت ستار الإصلاح والتجديد. ثم عمد هؤلاء إلى أصول الفقه فوجدوه منغلقًا دونهم حائلًا دون قبول الأنظمة الغربية؛ لكنهم بحثوا ونقَّبوا حتى وجدوا ثغرة ينفذون من خلالها، ألا وهي فكرة تأويل مقاصد الشريعة والمصالح المرسلة بشكل يستساغ معه قبول «الانتفاع» بما عند الغرب من أمور متعلقة بالاقتصاد والحكم، باعتبار أن الحضارة الغربية هي مقياس التحضُّر والتطوُّر والحكمة، ولا بد من أن تتوافق أحكام الإسلام معها.

هذا سردٌ تاريخيٌّ سريعٌ لنشوء فكرة تجديد الدين، وهي محاولة تشبه إلى حدٍّ ما، بما حدث في الغرب المسيحي للاستفادة من تجربته؛ ولكن هذا الأمر هو دخول في جحر الضب الذي دخله نصارى أوروبا وأثمر لديهم علمانية وإلحادًا وعقائد منحرفة وفرقًا دينية جديدة لا يجمع بينها شيء. فهل نحن المسلمون نقبل بأن نستنسخ تلك التجربة المدمرة لدين النصرانية، فنطبقها على دين الإسلام، ثم ندَّعي أنه تجديد للدين؟!

التجديد في خضم حرب الأفكار

في بداية القرن الحالي تبنَّت أمريكا بوصفها قائدة الحضارة الرأسمالية الغربية

مواجهة الإسلام تحت ذريعة محاربة الإرهاب؛ حيث دعا وزير دفاعها رامسفيلد سنة ٢٠٠٣م إلى تشكيل وكالة جديدة في مواجهة ما أسماه **حرب الأفكار**، وهي حرب قديمة متجدِّدة؛ وذلك للتعامل بفاعلية أكبر مع تهديدات القرن الحادي والعشرين. وكذلك نشر الكاتب الأمريكي توماس فريدمان مجموعة مقالات حول حرب الأفكار؛ حيث رأى أن الحرب يجب أن تكون داخل المجتمعات الإسلامية، وذلك من خلال تعزيز المعتدلين ليقوموا بهذه المهمات نيابة عن الغرب للتخلُّص من أفكار التطرُّف والعنف والإرهاب.

وبما أن التوجه الإسلامي يزداد قوة في الأمة، وأن عملية استئصاله تبدو مستحيلة؛ حيث أحسَّ الغرب الرأسمالي بما يسعى المسلمون الواعون المخلصون إلى تحقيقه اليوم من تجديد بالدعوة لإقامة الخلافة، وبخطورة هذا التوجه عند الأمة عليه، في ظل تراجع للغرب وتقدم للإسلام في الصراع الحضاري، ورأى الغرب أن الأنظمة الحالية في بلادنا قد استُهلِكتْ، وعُدمت الثقة بينها وبين شعوبها. فهو إذًا يرى أنه لا بد أن يتدارك الأمر قبل أن يصل الإسلام إلى السلطة؛ ولذلك عمد إلى التعامل مع الإسلام. فأراد أن يكون التجديد على طريقته في إذابة الدين وتطويره واللعب في فهم نصوصه. والغرب يحاول إفراغ الإسلام من مضامينه التي يصارع فيها ويتحدَّى حضارة الغرب خصوصًا في السياسة والاقتصاد والحكم.

وقد رست دعوته مؤخَّرًا على شاطئ محاربة الإسلام السياسي (الإسلاموي) وبالدعوة إلى أن الإسلام هو مجرد دعوة خلقية تعبدية شعائرية. لا دولة فيه ولا شريعة ولا سياسة ولا جهاد. وهذه الدعوة هي على النقيض من الدعوة إلى تجديد الدين بحسب المفهوم الشرعي. فالنموذج الذي يتبنَّاه الغرب الكافر لإبعاد المسلمين عن إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله هو نموذج (الإسلاموية)؛ حيث وضع الغرب ضغوطًا ضخمة على الحركات الإسلامية من أجل الإعلان عن تخلِّيها عن العمل السياسي الإسلامي، وتهديدها بالاستئصال، والسماح لها بالعمل الخيري والخلقي والتعبُّدي فقط، تحت ذريعة أنه لا سياسة في الإسلام.

وسياسة الكافر المستعمر في مواجهة الإسلام هي إيجاد أدوات تتجاوب مع سياسته، وتحاول أن تضع للإسلام قواعد وأصولًا جديدة تحت اسم تجديد الدين، وهذا التجديد المزعوم له طروحات كتجديد أصول الدين، الحاجة إلى فقه جديد. الواقعية أو فقه الواقع، فقه الضرورات، فقه الموازنات، أخفُّ الضررين، مرونة الإسلام، ودعوى تجديد الدين باستغلال مقاصد الشريعة بطريقة ملتوية وغير منضبطة بأصول الفقه الصحيحة، وكذلك دعوى القراءة المعاصرة للنص الديني.

الابتداع والتجديد

كان من جراء سيطرة مفاهيم الغرب في هذا العصر عند المسلمين حصول خلط بين مفهومين شرعيين، وهما: مفهوم التجديد ومفهوم الابتداع، فهما مفهومان تناولهما الإسلام بالبحث فلا يجوز الخلط بينهما. فالتجديد هو مما أقره الإسلام ودعا إليه، أما الابتداع، فقد نهى الإسلام عنه واعتبره ضلالة، والفرق بين المفهومين يتضح بمراجعة الأدلة، فحديث

«**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها**»، لا يجوز أن يُحتجَّ به بعيدًا عن النصوص الأخرى المتعلقة بهذا الباب، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**» وقوله: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**».

أما الابتداع فيكون على شكلين: فمن أحدث وأثبت أمرًا مما لم يثبته الشرع فقد ابتدع، مصداقًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، ومن أنكر ما أثبته الشرع فقد ابتدع مصداقًا لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾. فالابتداع هو تغيير في الدين بالإحداث فيه وبالزيادة عليه مما ليس منه، فمفهوم البدعة هو التغيير بالزيادة أو بالنقصان - ولكنها تكون غالبًا بالزيادة - على الأمور التي وردت بها كيفيات شرعية محددة (طريقة)، وتكون بشكل خاص في العبادات كالصلاة والحج. فصلاة المغرب ثلاث ركعات ومن زاد عليها برابعة أو خامسة فهو مبتدع وفعله محرَّم، والتباعد في صلاة الجماعة بدعوى وجود مرض الكورونا هو بدعة محرمة لأنها تغيير في الكيفية الشرعية لاستواء ورص الصفوف، وتعذيب الجسد والحرمان من التمتع بالطيبات بهدف سمو الروح هي فكرة مبتدعة مأخوذة من الفلسفة الهندية.

ومن الابتداع محاولة الإتيان بأدلة مستحدثة في علم أصول الفقه كإدخال المنفعة والضرر الرأسماليان تحت غطاء درء المفاسد وجلب المصالح، ومن يريد إدخال أنظمة الكفر الغربية الحديثة إلى الإسلام تحت غطاء مقاصد الشريعة ليُلبِّس على الناس دينهم فقد ابتدع. فالابتداع في العصر القديم كان بالزيادة على الدين مما ليس منه، أما الابتداع في العصر الحديث فيتم بالانتقاص من الدين وخصوصًا نظامه السياسي والاقتصادي.

أما تجديد الدين فهو واقع ومطلب شرعي، يحدث كل قرن من الزمان، ينفي عن هذا الدين كل خبث، ويزيل كل ما علق به مما ليس منه، ويعيد ما نقص منه، فيعيده المجدِّد تمامًا كما أنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام. فلا يقصد بتجديد الدين الإتيان بجديد لا أصل له في الإسلام، فالإتيان بجديد مما ليس من أمر الإسلام هو إحداث في الدين وهو مذموم، وهذا يدل على أن المراد بالتجديد هو إحياء ما مات، وبناء ما اندرس، وإزالة ما زاد. أو هو تنقية الفكرة الإسلامية وبلورتها وتصفيتها كي يصلح الإنهاض بها.

إن من أحد أهم الأمور التي يتناولها التجديد هو تحديد البدع المحدثة المحرمة، التي استحدثت عبر العصور الإسلامية المختلفة وإزالتها؛ لأنها بدع علقت بالدين وهي ليست منه. أما إذا كانت المحدثات ليس مما ينطبق عليها قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» بأن كانت من أمر الإسلام ولا تخالفه وكان لها أصل، فهي بحسب مفهوم المخالفة ليست مردودة بل مقبولة لأنها من أمر الإسلام. فهي ليست بدعًا محرمة بل هي محدثات حسنة، ويمكن تسميتها مجازًا بـــ«البدعة الحسنة». وهذه المحدثات التي من جنس أمر الإسلام تدخل

تحت باب التجديد، فهي تجديد مستحسن ويندرج تحتها السنن الحسنة في الإسلام.

فيلحق بالتجديد مفهوم السنن الحسنة في الإسلام، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم ...**» رواه مسلم، والمقصود من سنَّ من الأعمال المحمودة مما أمر الله به، وإن لم يكن لها مثال موجود على عهد النبي عليه الصلاة والسلام، ومن هذا الباب قول عمر رضي الله عنه عن صلاة التراويح جماعة: نعمت البدعة هذه. وكون العمل حسنًا أو قبيحًا إنما يعرف من جهة الشرع، تشهد له أدلة من الشرع وإلا كان بدعة مذمومة.

والفرق بين التجديد والسنن الحسنة في الإسلام، أن الذي يسنُّ سنَّة حسنة فهو يقوم بعمل مطلوب شرعًا، لم يحدد له الشرع كيفية وهيئة خاصة؛ ولكنه يقوم به بطريقة معيَّنة تشجع الناس على الاقتداء به في عمل الخير. في حين إن التجديد يشمل السنن الحسنة ويزيد على ذلك بأنه يشمل إحياء ما مات من السنن، وإزالة ما زاد من بدع، بالإضافة إلى حلِّ ما استعصى عليهم من إشكاليات جديدة وقضايا مستحدثة.

ومن التجديد الذي يلزم المسلمين بشكل دائم، هو أن تتم معالجة أهم القضايا التي تهم أمة الإسلام في ذلك العصر، وتكون بحاجة إلى حلول تجديدية حسنة، ومن أمثلة ذلك فكرة الخراج التي عمل بها سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، فقد أدرك أنه لا بد من وجود مورد إضافي وثابت لبيت المال للأعطيات وللإنفاق على مصالح الدولة والجيوش، ولإطعام الفقراء إلخ. ومن الأمثلة كذلك ما قام به الإمام الشافعي من وضع علم أصول الفقه بسبب حاجة المسلمين له آنذاك بعد اتساع الشقة والخلاف بين فقه الإمام أبي حنيفة وفقه الإمام مالك، وحدوث إشكاليات لا بد لها من علاج من خلال قواعد وأصول للفقه الإسلامي. ومن الأمثلة على التجديد فكرة «الوقف» التي أحدثها المسلمون لتمويل حاجات جماعة المسلمين والفروض الكفائية التي خوطبوا بها، حيث يقف الأغنياء بعض العقارات والأراضي والأموال كصدقات جارية للمنافع العامة للمسلمين. [راجع مجلة الوعي العدد ٤٠٧ / آب ٢٠٢٠، موضوع «من فقه التجديد»]

ولتمييز الابتداع من التجديد، لا بد لكل فكرة تجديدية من أصل في الشريعة، فعمل سيدنا عمر بالخراج استند فيه لآية من القرآن: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي أن للمسلمين الذين جاؤوا بعد الفاتحين سهم في الفيء أي في ملكية الأراضي الخراجية، وقبل منه الصحابة ذلك. والأوقاف الخيرية أصلها حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ...**» فالأوقاف تدخل باب الصدقة الجارية. وعلم أصول الفقه له أصل في الكتاب والسنة وآثار الصحابة وعند الفقهاء، والشافعي رحمه الله جاء فجمع هذه القواعد والأصول ورتبها ووسَّع عليها وأوجد علمًا جديدًا. فجميع المحدثات التي لها أصل في الشريعة وتقع تحت مفهوم المخالفة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**ما ليس منه**» بأن تكون منه، أي لها أصل فهي محدثة

مقبولة وهي أمر تجديدي مستحسن، والجديد فيها أنها تواكب النوازل وحاجات المسلمين وقضاياهم، ويتم إيجاد حلٍّ تجديديٍّ لها من الشريعة وفق الأصول المعتبرة المتصلة بالوحي، لا تلك التي لا أصل لها، أو التي تستند إلى ثغرات في ظنيات الأصول كالمصالح ومقاصد الشريعة، وهي بالأساس حلول متأثرة بغير الإسلام، وبالتالي فهي لا تندرج تحت مسمى التجديد الشرعي، بل هي من الابتداع.

ومما يلزم المسلمين في هذا العصر من أمور تجديدية مستحسنة، هو السعي لحل زعزعة الثقة بأفكار الإسلام وأحكامه التي أوجدتها الحضارة الغربية بعد الغزو الفكري للمسلمين، خصوصًا في مجال السياسة والاقتصاد والحكم، فكان لا بد من مجدد مجتهد للاضطلاع بهذه المهمات الجسام في هذا العصر.

علاقة التجديد بدعوى التطوُّر

بسبب الخطورة البالغة لشيوع نظرة إيجابية لمصطلح «التطوُّر» عالميًّا بما في ذلك عند المسلمين، لا بد لنا من تبيان التلبيس والزيغ في هذا المصطلح واستبداله بمصطلح آخر يكون مناسبًا وحقيقيًّا، والتوقف عن استخدام هذا المصطلح المتوهَّم.

التطوُّر هو انتقال الشيء من طور إلى طور، وهو يعني تغير الشيء بشكل تدريجي إلى الأفضل والأحسن، والتطوُّر يقرن عند الغرب بالحداثة والحضارة والتقدم، فالتحديث والتحضُّر هي ألفاظ قريبة من معنى التطوُّر إن لم تكن تطلق على ذات المعنى، أي هي من مرادفات لفظة التطوُّر عندهم، وتطوير الدين يعني تغييره بشكل يواكب الحضارة والحداثة وإزالة ما يعيق انتقاله إلى الأفضل.

أما التجديد فهو جعل الشيء جديدًا، أي إعادته على الصورة التي كان عليها عند أول صناعته، فتجديد الثوب يعني إصلاحه وإزالة ما علق به بشكل يعود وكأنه جديد، وتجديد الآلة يعني تنظيفها وأصلاحها لتعود لأداء وظيفتها التي صنعت من أجلها وكأنها آلة فاعلة جديدة، وهكذا. فالتجديد هو إعادة الشيء إلى أصله وحاله الأول ليقوم بوظيفته التي وُجد من أجلها.

والفرق بين التطوير والتجديد من زاوية فكرية، أن التطوير لا يقصد منه المحافظة على جوهر الشيء واعادته كما كان في الأصل، بل يقصد به تغيير الشيء بشكل يواكب الحضارة الحديثة وإزالة الأفكار التي تعيق هذا التغيير والانتقال إلى الحداثة المتطوِّرة، حتى لو تمَّ تغيير جوهر ذلك الشيء وأصله. وأما التجديد فيكون بإصلاح الشيء وإزالة ما علق به مما ليس منه مع المحافظة على أصله وجوهره.

فيكون معنى تطوير الدين هو تغيير أفكاره التي هو عليها بشكل يواكب الحضارة والحداثة وإزالة ما يعيق انتقاله إلى الأفضل، وبالتالي يتمُّ إدخال بعض الأفكار إلى الدين حتى ولو خالفت أصوله؛ لأنها متحضِّرة وحديثة فيتطور بها. أما تجديد الدين فيعني إحسان فهم الدين وإعادته كما نزل به الوحي، بناء على إدراك واقع النصوص الشرعية بشكل صحيح، وإزالة ما علق به من أمور تضعف فهمه وليست منه. فهي عملية تنقية للفكرة وبلورة وتصفية للدين من عوامل التغشية والتحريف والتشويه.

ويطلق مصطلح التطوُّر من قبل بعض الناس ويراد به الإحسان والتحسين، أي بمعنى الإجادة في فهم الأشياء والظواهر والجودة في إتقان الصناعات؛ ولكن هذا المعنى هو خلط مفهوم الإحسان بمفهوم التطوير؛ لأن الإحسان قد يكون في القديم وقد يكون في الجديد، أما التطوُّر فلا بد أن يكون الجديد فيه أحسن وأفضل من القديم؛ لأن التطور هو انتقال من حال إلى حال أفضل.

فنظرية التطوُّر في الغرب تفترض بأن كل شيء جديد هو متطوِّر، وهو أفضل من القديم، وهي تفترض عدم وجود انتكاس في التاريخ؛ ولكن الواقع وحقائق التاريخ تخبرنا بأن الإحسان والتحسين قد يكون في القديم وقد يكون في الجديد، ولا علاقة للإحسان بالزمن القديم ولا بالجديد، فالإحسان له علاقة بكيفية الفهم والأداء للأمور، فعلوم اللغة وأصول الدين والفقه هي علوم قديمة ولا يوجد من علماء اليوم من يقترب أو يداني القدماء الذين أبدعوا في هذه العلوم وأحسنوا فهمها والتأليف فيها.

وأما خلط مسألة التطوُّر بالصناعات الحديثة، فالتطوُّر فيها ناتج عن وجود مبدأ جديد في أوروبا نتج عنه نهضة في جميع المجالات ومنها العلوم والصناعات ولا علاقة لذلك بالزمن والتطور الزمني، بدليل أن العلوم عند المسلمين كانت متقدِّمة ومتطوِّرة؛ ولكنها انتكست وتأخَّرت مع انحطاط الفكر عند المسلمين.

فلا بد لنا من نبذ استخدام مصطلح «تطوُّر» واستخدام مصطلح أفضل وأدق وأصدق وهو مصطلح «الإحسان».

متى يلزم التجديد أو التطوير؟

عندما تتراكم المشكلات في مجتمع ما وتعجز الأنظمة والقوانين عن حلها وتتراكم القضايا بعضها فوق بعض بلا مخرج، يبحث الناس عن أسباب تعقُّد تلك المشكلات؛ فيجدون المخرج بتجديد أو تطوير هذه الأنظمة والقوانين، وكذلك يحدث فيما يتعلق بالأفكار والمفاهيم المجتمعية.

وهذا صحيح إذا كانت تلك الأنظمة والقوانين والمفاهيم لا تنبثق من قاعدة فكرية قطعية وصحيحة بأن كانت مجموعة من التشريعات والأنظمة والمفاهيم التي تواضع عليها البشر من عند أنفسهم، وفي هذه الحالة هناك مبرِّر للقيام بالتطوير والتحديث في هذا الفكر وهذه التشريعات بحثًا عن حلول أفضل لعلاج مشاكل الإنسان ومفاهيم أرقى تواكب الحضارة والحداثة والتقدم. أما إذا كان هذا الفكر وهذه التشريعات منبثقة من قاعدة فكرية قطعية وصحيحة بأن كانت دينًا ربانيًا من لدن خالق الإنسان، فلا يصلح معه التطوير والتغيير ويصلح معه التجديد فقط.

فالإسلام هو دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو من عند خالق الإنسان وهو أعلم بما يصلح لهؤلاء الناس من أفكار وأنظمة وتشريعات، فلا يجوز للبشر المسُّ بأصول هذا الدين وجوهره ولا ما جاء به من أحكام شرعية؛ لأن كل ذلك يعتبر جزءًا من الوحي الربَّاني؛ ولذلك فالتطوير والتحديث لا مجال له في دين الإسلام لأنه دين رباني من لدن الحكيم الخبير.

وما يزيدنا اصرارًا على عدم حاجة دين

الإسلام للتطوير، أن ما يهدف إليه من ينادون به هو إدخال أفكار من الحضارة الرأسمالية الغربية إلى الإسلام، تحت شعار التحضُّر والتحديث والتطوير، وهي في حقيقتها تقليد أعمى للحضارة المتغلِّبة، رغم أن تلك الحضارة الرأسمالية ومبدأها هي من وضع البشر، فهي قطعًا معرَّضة لكل أنواع الزلل والخلل ثم النقص والقصور، هذا بالإضافة إلى فساد تلك الحضارة في أسسها وقاعدتها الفكرية، ويضاف إلى ذلك فشلها في التطبيق العملي، وما جرَّته على العالم من نتائج كارثية وإجرام في حق الشعوب والأمم غير الأوروبية.

أما لماذا يلزم تجديد الدين، مع أنه دين ربَّاني لا يتغيَّر ولا يتطوَّر؟ فالجواب عليه هو أن التجديد لا يتعلق بتغيير النصوص الدينية من كتاب وسنة، ولا يتعلق كذلك بتغير اللغة العربية ولا بتطوُّرها. بل مردُّ ذلك – كما ذكرنا في المقدمة - أن الإسلام دين يطبقه الناس في حياتهم، فيحصل التدافع بين الأفكار الإسلامية وغيرها، وإفراط وتفريط في التطبيق، ووقائع تستجد تحتاج لإنزال الأحكام الشرعية عليها، الأمر الذي قد ينتج عنه احتمال دخول أفكار غريبة على الإسلام، وضعف الفهم نتيجة الإفراط والتفريط، وانفكاك ارتباط الوقائع بالأحكام الشرعية، وهذه العوامل إن طال عليها الزمن أنتجت انفصالًا بين الإسلام وبين الواقع، مما يستدعي المداومة على التجديد.

أما بالنسبة لتغيُّر اللغة العربية، فاللغات تختلف وتتنوَّع وتتغيَّر عبر الأزمنة، وهذا من سنن الله تعالى في اللغات قال تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾، فاللغة العربية التي نزل بها الوحي ليست ذاتها لغة العرب اليوم، بل طرأ عليها تغيُّرات واختلفت عبر العصور وأصبحت مجموعة من اللهجات العامية، ولا يقصد بالتجديد في اللغة العمل على إعادة العرب للتكلم باللغة الفصحى لغة قريش التي نزل بها الوحي، فإن هذا درب صعب جدًّا فوق كونه غير مطلوب شرعًا، وإنما المطلوب هو أن نفهم نصوص الوحي بالأداة التي نزلت بها وهي لغة العرب في حينه، وأي تغيُّر طرأ عليها بعد انقطاع الوحي لا حجة به ولا يُلتفت إليه.

فالتجديد إذن يكون بإعادة الفهم اللغوي الصحيح للنصوص الشرعية الذي طرأ عليه عند العرب تغيُّر واختلاف منذ انقطاع الوحي حتى يومنا هذا؛ ذلك أن الخطاب الشرعي المعتبر هو ذلك الخطاب الذي نزل به الوحي وخوطب به العرب حسب فهمهم كعرب لتلك النصوص، وهذا الفهم لا يجوز أن يتطوَّر ويتغيَّر مع الزمن، بل يجب المحافظة عليه تمامًا كما كان قبل انقطاع الوحي. لذلك كان على المجدِّد والمجتهد والمفسِّر والفقيه وكل علماء الشريعة إتقان اللغة واللسان الذي تكلمت به قريش والعرب وقت تنزُّل الوحي، كي يكون كل منهم قادرًا على الفهم الصحيح لمراد الشرع من كلامه.

وقد قام علماء اللغة في القرون الأولى – مع بداية ما يسمى بفساد اللسان - بتتبع قبائل العرب الفصيحة وتدوين وكتابة اللغة العربية والشعر العربي الذي هو ديوان العرب، وقاموا بإيجاد معارف لغوية لازمة

للفهم كعلوم البلاغة والنحو والصرف وفقه اللغة والإملاء والرسم والمعاجم وغيرها؛ ولذلك فقد كفانا علماء اللغة وعلماء الإسلام عناء هذا الأمر، والمطلوب هو دراسة تلك العلوم والاعتماد عليها في فهم النصوص الشرعية، كي يكون فهمنا لها كما فهمها صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا هو الإحسان المطلوب.

والتجديد كذلك يكون بفهم الوقائع التي نزلت عليها الأحكام الشرعية قبل انقطاع الوحي أي فهم المناط، فقد يكون فهم النص الشرعي عند الفقيه أو المجتهد صحيحًا لا غبار عليه، حسب قواعد الفهم اللغوي والشرعي لتلك النصوص؛ ولكن قد تكمن المشكلة لديه في فهم وتمييز الواقع الذي تعلَّق به النص، فيحدث الخلل عندما تنزل تلك النصوص على غير واقعها ومناطها الشرعي؛ ولأجل ذلك كتب العلماء في أسباب نزول القرآن وفي أسباب ورود الحديث وكتبوا في المغازي والسير؛ لأن ذلك يُعِين في فهم واقع النصوص.

ويكون التجديد في هذا الأمر بتتبع الأماكن والآثار والظروف المناخية والشروط الطبيعية التي كانت سائدة زمن تنزُّل الوحي، وهذا الجهد يمكن التجديد فيه بشكل كبير، ومن فوائده مثلًا معرفة الموازين والمكاييل الشرعية كمقدار الصاع والدينار الشرعي والذراع والقُلَّة... إلخ، ومعرفة أدوات القتال والحرب والملابس وأدوات الطعام التي كانت مستخدمة، وكيفية البناء في المدن والقرى وآبار المياه وأساليب الزراعة والصناعة، ومثل هذا يفيد في فهم الكثير من الأمور كالسفر الشرعي وأحكام المياه والطرق والبناء وحق الشفعة وغيرها، وهذه كلها تعين المجتهد والفقه في تحقيق المناط وفهم الوقائع التي نزلت عليها النصوص الشرعية.

وإنه من الإجرام ما يحدث في بلاد الحرمين من تدمير للآثار الإسلامية بحجج واهية، فيقومون بهدم الآثار الإسلامية الهامة كبيت النبيِّ وبيوت الصحابة والمساجد الأثرية وغيرها، فهذه جرائم بحق المسلمين وتاريخهم، والمطلوب هو المحافظة على جميع الآثار الإسلامية خصوصًا تلك التي كانت موجودة زمن الوحي لما لها من تعلُّق بالوقائع التي نزلت بشأنها النصوص الشرعية، والتي تساعدنا في فهم وجه من أوجه مناط الأحكام الشرعية وفهم سيرة النبيِّ عليه الصلاة والسلام وتاريخ المسلمين.

فالتجديد المطلوب من المسلمين اليوم هو فهم الإسلام كما كان - وهو جديد - زمن تنزُّل الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام. وتجديده يكون بالالتزام بضوابط شرعية وعقلية معيَّنة بهدف إحسان فهم النصوص الشرعية وفهم مناط الأحكام التي تعلَّقت بها هذه النصوص وتنزيلها على الوقائع الجديدة التي تطابق ذات الوقائع التي نزلت عليها النصوص. وإذا حدثت وقائع جديدة ليست لها أحكام شرعية تناولها الفقهاء السابقون، يقوم المجتهدون والفقهاء بالاجتهاد لاستنباط أحكام شرعية للمستجدات وفق ضوابط علم أصول الفقه.■

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم والعمل بما يقتضيه الحال بين علماء الأمس واليوم

م. شفيق خميس _ اليمن

العلم عكس الجهل وضده، وقد رفع الله تعالى من فضيلة العلم. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [سورة الزمر: ٩] وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣] وذمَّ الجهل.

العلم أعم والمعرفة أخص. قولك إنك تعرف فلان فأنت تعرف اسمه ومكان إقامته وعمله، وأعلم فلان فأنت تدري أكثر مما ذكرنا، أحواله في الحياة التي هو عليها. وقد فضَّل الله العلم على الجهل، وحضَّ الناس على تحصيل العلوم، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَرْذَلَ اللهُ عَبْدًا حظَرَ عَلَيْهِ العِلْمَ**» [أدب الدنيا والدين. الماوردي ص ٥١] وفضَّل الله العلوم الشرعية؛ لأن الناس بمعرفتها يَرْشُدُون، وبجهلها يَضِلُّون.

والعلوم الشرعية ترشدهم إلى العلوم التجريبية، وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلا دَاءً وَاحِدًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ**» [رواه الترمذي] ولا ترشدهم العلوم التجريبية إلى العلوم الشرعية. ويكفينا أن بعض المتعلمين وقف بباب عالم، ثم نادى: تصدَّقوا علينا بما لا يتعبُ ضِرْسًا، ولا يُسْقِمُ نفسًا؛ فأُخرج له طعام ونفقة. فقال: فاقتي إلى كلامكم، أشد من حاجتي إلى طعامكم؛ إني طالب هُدىً لا سائل ندىً. فأذِن له العالم، وأفاده عن كل ما سأل عنه، فخرجَ جَذِلًا فَرِحًا، وهو يقول: علمٌ أوضحَ لَبْسًا، خيرٌ من مالٍ أغنى نَفْسًا.

إلا إن العلم يتبعه العمل. ونعوذ بالله من علم لا ينفع، فما قيمة عالم لا يعمل بعلمه، قال تعالى ﴿۞أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤] فقد قرن العلم بالعمل، فما قيمة علم لا يفضي إلى عمل؟ فذاك هو الخسران المبين. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩] وقال **تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

أما نيل العلماء للعلم فإن له غاية. فالرغبة في تعلُّم العلم هي نوال رضى الله تعالى، والله ينظر لأعمالهم من بعدُ، أيبتغون بما يسَّر الله لهم من طريق العلم، نوال رضوانه؟ لأن من علم أوامر الله فهو الأولى بامتثالها، ثم بتعليمها للناس ليكونوا كذلك. وأما علم نواهيه، فالانتهاء

عنها يبدأ بالعالم ليصل إلى غيره. فالمثال العملي هو ما يجعل للعالم أثرًا سهلًا سريعًا في الناس. يروى أن مملوكِين جاؤوا للحسن البصري رحمه الله، طالبين منه أن يحضَّ الناس على إعتاق المملوكين؛ لكن البصري تأخَّر قليلًا عن إجابتهم، ويرجع السبب في تأخره أنه لم يكن لديه مال، وحين حاز المال اشترى مملوكًا وأعتقه، ثم دعا الناس إلى عتق مملوكيهم. قال الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين، تحت عنوان (شيمة العالم العمل بما علم): «وليكن من شيمته العمل بعلمه، وحثُّ النفس على أن تأتمر بما يأمر به، ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ﴾ [الجمعة: ٥] وقد قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ **[يوسف: ٦٨]** إنه العامل بما علم» [أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص: ٨٢]

احتاج الناس إلى الرسل ليبلغوهم مراد الله منهم، فبلغوا عنه تعالى عبر الرسالات التي أرسلهم بها إلى الناس، فقامت الحجة عليهم أن يقولوا يوم الحساب ما جاءنا من نذير. ثم احتاج الناس للأنبياء من أجل أن يقيموا حياتهم بحسب ما أنزل الله على الرسل قبلهم من رسالات يعرِّفونها بنبوة الله لهم. فحين ختم الله تعالى رسالاته على الأرض برسالة الإسلام، والأنبياء بنبوة محمد ﷺ. ومن بعدِ خاتَم الأنبياء لم يبقَ إلا العلماء يعملون بعلمهم، فكان الدور عليهم، في الحفاظ على إقامة دين الله في الأرض، ويرشدون الناس ويوجهونهم للقيام بالأعمال بما آتاهم الله من علم. قال ﷺ: «**إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**» رواه الترمذي. وقال ﷺ: «**من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًّا لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنَّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان؛ فلم يغيِّر بقول ولا فعل كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله**» [رواه الطبري في التاريخ، وابن الأثير في الكامل] وقال ﷺ: «**لتأمرُنَّ بالمعروف وتنهوُنَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحق أطرًا، ولتقصرنَّه على الحق قصرًا، أو ليضربَنَّ اللهُ بقلوب بعضكم على بعض وليلعننَّكم كما لعن بني إسرائيل**» [أخرجه أبو داود والترمذي] فالأحاديث لجميع أمة محمد، يتصدَّرهم العلماء بما هم أهله، وما مهمتهم في المسلمين، فمن يقوم بذلك إن لم يقم به العلماء؟!.

تحمَّل العلماء منذ صدر الدولة الإسلامية ميراث الأنبياء، مباشرة منذ انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فكان دأبهم هو إظهار الحق والجهر به، رضي الخلفاء أم لم يرضوا، متحمِّلين تبعات ذلك الميراث. قال الفاروق رضي الله عنه للناس: ماذا تفعلون إذا رأيتم فيَّ اعوجاجًا؟ فكان الرد «لو رأينا فيك اعوجاجًا لقومناك بسيوفنا». كما دأب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على القيام برعاية شؤون الناس حق الرعاية، وأراد أن يقلِّل الناسُ من مهور بناتهم، فوقف على منبر رسول الله ﷺ وأفصح عن مراده، فقامت له امرأة لم تخَف في الله لومة لائم وقالت: يا عمر، قال الله تعالى ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ

ﭐسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾ [النساء: ٢٠] فقال عمر قولته الشهيرة «أصابت امرأة وأخطأ عمر». ونهض فاتحو سواد العراق يتزعمهم بلال المُزْنِي إلى عمر بن الخطاب ﷺ يريدونه تقسيم السواد بينهم غنيمة لهم، ويعاودون عمر في نيل مطلبهم، حتى قال عمر مقولته: «**اللهم اكفني بلالًا وصحبه**».

بالأمس يوم كان للمسلمين دولة وخليفة مبايَع على الحكم بالإسلام، وكان العلماء يرقبونه فيما بايعوه عليه، فإن هو وفّى فنعمَّا بها، وإن مال أو اعوجَّ أو رأَوا منه ما يخالف بيعته التي أعطاها إياه المسلمون، حاسبوه وردُّوه إلى الطريق القويم، لا يخافون في الله لومة لائم، موفين بميثاق الله عليهم، ببيان الهدى وإظهار الحق وعدم كتمانه. وقد ملأت حوادثهم صفحات التاريخ. فقد ابتُلي مالك ابن أنس صاحب المذهب المشهور في أيام أبي جعفر المنصور، بعدم تحديث الناس بحديث النبي ﷺ القائل فيه: «**ليس على مستكرَه طلاق**» الذي اتخذ منه الخارجون على الخليفة المنصور دليلًا يسعهم في الخروج عليه، قياسًا على الحديث بأنه ليس على مستكرَه بيعة. فقد استغلَّ حاسدو مالك بن أنس عند المنصور، الذي وجَّه بأن لا يحدث مالك الناس بهذا الحديث؛ لكن مالك ظلَّ يحدِّث بالحديث على رؤوس الأشهاد، ووصل الحال بحسَّاده أن ضُرِبَ مالك سبعين سوطًا.

وقد حلت المحنة في بغداد بأبي حنيفة النعمان، حين لم يوافق أبا جعفر المنصور في الشدة مع العلويين، ومن تعرُّض أبي حنيفة لأحكام قضاته، فقد حدّ ابن أبي ليلى القاضي امرأة مجنونة واقفة في المسجد حدَّين لقولها لرجل: يا ابن الزانيين. فقال أبو حنيفة: أخطأ القاضي في ستٍّ: الحدِّ في المسجد فلا تقام الحدود فيه، وضربِها قائمة والنساء تُضرَبْنَ قعودًا، وكان يكفي حدًّا واحدًا بدلًا من حدين، إذ لا يجمع بين حدَّين حتى يخفَّ أحدهما، والمجنونة ليس عليها حد، وحد لأبويه وهما غائبان لم يحضرا فيدعيا. ورفضه قبول عشرة آلاف درهم وجارية من أبي جعفر المنصور، ورفض تولي القضاء، فضرب ١١٠ سوطًا وفرضت عليه إقامة جبرية في منزله، ومُنع من الإفتاء والتدريس إلى أن وافاه الأجل بعد ذلك بقليل.

ولم يمتنع سفيان الثوري من محاسبة المهدي لما حجَّ، وهو الذي أمر بإحضاره، من أن يقول له: كم انفقتَ في سفرك هذا؟ قال: لا أدري، لي أمناء ووكلاء، قلت فما عذرك غدًا، إذا وقفت بين يدي الله تعالى فسألك عن ذلك؟ لكن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لما حجَّ قال لغلامه: كم انفقت في سفرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر دينارًا، فقال ويحك اجحفنا بيت مال المسلمين. وقد علمت ما حدثنا به منصور بن عمار وأنت حاضر ذلك وأول كاتب كتبه في المجلس، عن ابراهيم عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ربَّ متخوِّضٍ في مال الله ومالِ رسول الله فيما شاءت نفسه له النار غدًا**»، فيقول أبو عبيد الكاتب أحد متزلِّفي الحاشية، أمير

المؤمنين يستقبَل بمثل هذا؟ فيجيبه سفيان - بقوة المؤمن وعزة المسلم – اسكتْ، إنما أهلك فرعونَ هامانُ. [الاسلام بين العلماء والحكام. عبد العزيز البدري ص ٧٣]. وهذا شأن العز بن عبد السلام حين عُزل عن الخطابة بجامع دمشق وحُبس؛ لأنه حاسب الملك الصالح على الخيانة السياسية المشهورة التي أقدم عليها الصالح بتحالفه مع النصارى ضد نجم الدين أيوب حاكم مصر، بتسليم صفد وقلعة الشقيف، ومناصفة صيدا وطبرية وجبل عامل وسائر بلاد الساحل، وسمح لهم بدخول دمشق وشراء السلاح منها، فلم يسكت العز وتكلّم من منبر الجمعة، وذمَّ الملك الصالح على خيانته تلك، وقطع من الخطبة الدعاء له، ودعا «اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد تعز فيه أولياؤك، وتذل فيه أعداؤك، ويعمل فيه بطاعتك وينهى فيه عن معصيتك».

وتلاه ابن تيمية مع غازان حين حاسبه على نكثه للعهود حين دخوله دمشق، ولم يخفْ في الله لومة لائم، حتى إنه لم يأكل من الطعام الذي قُدِّم، فأوقعت في قلب غازان من الهيبة والمحبة.

هذا كان حال العلماء، مع وجود خليفة للمسلمين وإقامة الدين في الحكم بما أنزل الله، فكيف يكون حال العلماء في حال غياب خليفة مبايَع على الحكم بالإسلام، وتسلُّط غير المسلمين عليهم، والتنكيل بهم، ونهب خيراتهم، والعمل الدؤوب فيهم لهدم أفكار الإسلام وأحكامه في جميع شؤون الحياة، وتبديلهم بأفكار وأحكام الكفر في جميع مناحي الحياة من حكم واقتصاد واجتماع وتعليم وسياسة خارجية.. إلخ؟

لقد أنزل الله قرآنًا قال فيه بوجوب إقامة سلطان للمسلمين يُحكَمون فيه بالإسلام. وأول من أجاب أمر الله وأقام سلطانًا للمسلمين محمد ﷺ بإقامة دولة للمسلمين في المدينة المنوَّرة، وعلم العلماء وجوب ذلك. قال الحسن البصري في كتاب أدب الدنيا والدين، في حديثه عما يصلح به حال الدنيا، ستَّ قواعد: **الأولى** «وهي الدِّين المتَّبع: فلأنه يصرفُ النفوس عن شهواتها، ويَعْطِفُ القلوب عن إراداتها، حتى يصير قاهرًا للسرائر، زاجرًا للضمائر، رقيبًا على النفوس في خلواتِها، نَصوحًا لها في مُلِمَّاتها.» **والثانية:** «فهي سلطان قاهر، تتألفُ برهبته الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرقة، وتَنْكَفُّ بسَطْوَته الأيدي المتغالبة، وتَنْقمع من خوفه النفوسُ المتعادية؛ لأن في طباع الناس من حُبِّ المغالبة والمنافسة على ما آثروه، والقَهْر لمن عاندوه، ما لا يَنْكَفُّونَ عنه، إلا بمانع قويّ، ورادع مَلِيّ» وأضاف: «ثم لما في السلطان من حراسة الدين والذَّب عنه، ودفع الأهواء منه، وحراسة التبديل فيه، وزجر من شذَّ عنه بارتداد، أو بُغيَ فيه بعناد، أو سُعيَ فيه بفساد. وهذه أمور إن لم تنحسم عن الدين بسلطان قويّ، ورعاية وافية، أسرعَ فيه تبديلُ ذوي الأهواء، وتحريفُ ذوي الآراء، فليس دين زال سلطانه، إلا بُدِّلت أحكامه، وطُمِست أعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعة، ولكل عصر في وَهْيه (ضعفه) أثر» وزاد «ومن هذين الوجهين وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت، زعيم الأمة، ليكون الدين محروسًا بسلطانه،

والسلطان جاريًا على سنن الدين وأحكامه...» [أدب الدنيا والدين. الماوردي ص ١٣٤ – ١٣٦].

فإن علماء كأبي الحسن البصري وغيره قد علموا بوجوب إقامة إمام يحكم الأمة الإسلامية بالإسلام، فأين علماء اليوم ليقوموا بما قام به من سبقوهم من علماء المسلمين بالأمس؟ قالت أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**» [متفق عليه]. وأي خبث اليوم أكبر من إحلال الحكم بغير ما أنزل الله بين ظهراني المسلمين، محلَّ الحكم بما أنزل الله عن قصد ودراية، لا عن جهل وغواية!!

فمع نهاية الحرب العالمية الأولى نزع الحلفاء سلطان الأمة الإسلامية من يدها، وهدموا دولة الخلافة، وقسَّموا بلاد المسلمين إلى أكثر من خمسين كيانًا، جاعلين بينها حدودًا تَحُوْلُ بينها وبين عودتها تحت إمرة خليفة واحد، ونصَّبوا حكَّامًا على المسلمين للحكم بغير الإسلام في مختلف شؤون الحياة، وحتى اليوم، فهل يتوجَّب على علماء المسلمين اليوم إلا أن يتصدَّروا المشهد وأن يكونوا في صفوف العاملين لاستعادة سلطان الأمة الإسلامية المسلوب منها، وتبصيرها بالواجب المناط بها من وجوب استعادة الحكم بالإسلام، وتنصيب خليفة للمسلمين ومبايعته على الحكم بالإسلام، وإعادة بلاد المسلمين إلى لُحْمَتها كما كانت، تحت راية العقاب، راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، محل أعلام ذات ألوان ترمز إلى أفكار ومفاهيم هبَّت علينا من الغرب اللاديني، قُلِّدت فيها الوطنية القادمة من فرنسا، ونُزِعَتْ عنها سيادة الشرع، واستُبدلت بها سيادة الشعب؟!.

بل يتوجَّب على علماء المسلمين تشمير سواعدهم للعمل على إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوَّة. وإبعاد يد الاستعمار الرأسمالي الغربي عنها بشتى أشكاله الظاهرة والخفية، العسكرية والاقتصادية والثقافية، وإزالة هيمنته وسيطرته عن بحار المسلمين، واستعادة مآثر المسلمين من خير الدين بربروسا وطرغد، والاستفادة مما تبقَّى من نفط مضى ما يزيد عن قرن على استخراجه واستنزافه بعيدًا عن منافع المسلمين ومصالحهم.

لقد سرَّنا ما رأينا منذ أعوام حشد لا بأس به من علماء المسلمين، يذكرون دولة الخلافة وعودتها المرتقبة، من بعد غياب زاد عن المدة المحددة بالشرع، فلم تعدَّ بالأيام بل عُدَّت بعشرات السنين؛ إلا أن ذلك لا يكفي، خصوصًا أن الطريق صار مرسومًا واضحًا لإقامتها، الطريق الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إقامة دولة المسلمين الأولى في المدينة المنورة، لا الديمقراطية اليونانية، ولا سواها من الطرق التي لن تؤدي إلى إقامة دولة للمسلمين.

ولينضم ذلك الحشد من العلماء مع علماء نذروا أنفسهم للعمل على إقامة دولة الخلافة الراشدة الثانية على منهاج النبوة ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾، فيكتب لهم عزُّ الدنيا من بعد الهوان، وثوابُ الآخرة الذي يرجوه، ويكونون من الفائزين، وينجون من سؤال الله: ماذا فعلتم في زمان يُحكم فيه أمام أعينكم بغير ما أنزل الله؟! ■

بسم الله الرحمن الرحيم

العربيّة... لغة مهدّدة بدون الإسلام، فمن لها؟

سيد الشنقيطي

تكاد تكون اللّغة العربيّة اليوم تتلوّن بألوان الأقطار العربيّة المختلفة إلى حدّ أنّ بلدًا عربيًّا استورد بُرقوقًا من بلد عربيّ آخر فصدّر إليه مِشمِشًا! هذا وصار بعضهم يؤلّف المعاجم العربيّة على منوال المعاجم الأجنبيّة الهجائيّة (أو الألفبائيّة كما يسمّونها تأثّرًا بلفظ alphabet الأجنبيّ) وذلك خلافًا للطّريقة المعجميّة العربيّة الّتي تعتمد على الجذور محافَظةً على وَحدة الأسرة اللّفظيّة الواحدة. وقد شاعت ظاهرة أخرى هي ابتداع أحرف جديدة في العربيّة لرسم أصوات في اللّغات الغربيّة الفوقيّة المهيمنة ثقافيًّا، وهي الإنْكِليزِيّة والفَرنسيّة أساسًا. ولا وجودَ في العربيّة لهذه الأصوات وغيرها من الأحرف الغريبة الّتي توجد بامتياز في معجم المنجد في اللّغة والأعلام الصّادر عن دار المشرق ببيروت (وهو من وضع الآباء اليسوعيّين). فما مدى تأثير هذه الظّواهر على اللّغة العربيّة؟

إنّ العربيّة نَفيسَة لَدى الـمُسْلِمين لأنّها لُغَة القُرْآن الكَريم والحَديث النَّبَوِيّ الشّريف والشِّعْر الجاهِلِيّ - وهو ذو أهمّيَة بالِغَة في فَهْم مُفْرَدات النُّصوص الشَّرْعِيَّة - وسائِر العُلوم الإِسْلامِيَّة. إنَّها لُغَة ثَرِيَّة إِذْ تَعْتَمِد أَساسًا عَلى الاَشْتِقاق الَّذي لا حُدود له في إِنْشاء الـمُفْرَدات اللّازِمَة عِنْد الحاجَة إلى وَضْع مُصْطَلَحات الـمَدْلولات العِلْمِيَّة والتِّقْنِيَّة والـمَدَنِيَّة والحَضارِيَّة الجَديدَة. وهي لُغَة واسِعَة النِّطاق إِذْ تَمْتَدّ رُقْعَتُها مِنَ الخَليج العَرَبِيّ إلى الـمُحيط الأَطْلَسِيّ. زِدْ على ذَلِك أنَّها مُعْتَمَدَة في كَثير مِنَ الأَقْطار الإِسْلامِيَّة غَيْر العَرَبِيَّة في التَّعْليم والتَّواصُل بَيْن الفِئات مُخْتَلِفَة اللُّغات، عِلاوَةً على أنها لُغَة رَسْمِيَّة لَدى العَديد من الهَيْئات الدُّوَلِيَّة كمُنَظَّمَة الأُمَم الـمُتَّحِدَة وغَيْرِها؛ لذا تَتَسَنَّم اللُّغَة العَرَبِيَّة المَرْتَبَة الثّالثة عالَمِيًّا في تَرْتيب الُّلغات مِنْ حَيْث الاَنْتِشار. وتُبَشِّر المُؤَشِّرات اليَوْم بأنَّها سَتُصْبِح اللُّغَة الأولى في العالَم مُسْتَقْبَلًا لأنَّها فَريدَة مِن نَوْعِها: فهي مَتينَة البُنْيان، وَطيدَة الأَرْكان، ثابِتَة الكِيان، مِمّا هَيَّأَها طَبيعِيًّا لتَكون لُغَة التَّواصُل بِامْتِياز في جميع المجالات؛ إلّا أنّ تفكّك الأقطار العربيّة أنتج نوعًا منَ البلبلة اللّغويّة على عدّة مستويات، ممّا يعكّر عمليّة التّواصل.

أمّا على مستوى القطريّة اللّغويّة فإنّ وصف العربيّة بالفصحى فيه حشو ركّز عليه الاَستشراق والاستفراق لإيهام النّاس بوجود أنواع مختلِفة منَ العربيّة مثل «العربيّة الحرفيّة» أوِ «الكَلاسيكيّة» و«العربيّة الحديثة» و«العربيّة المبسّطة» و«لغة ما بين بين»

و«العربيّة العامّيّة». والهدف التّشويش على النّاطقين بالعربيّة لإبعادهم عن النّصوص الشّرعيّة الّتي لا تُفهم بداهةً إلّا بلغة التّنزيل. وسقَط في هذا الفخّ كثير من النّاطقين بالعربيّة، يستوي في ذلك أعداؤها ومحبّوها. فأصبح بعض هذه «العربيّات» غير الفصيحة لغات التّخاطب، بل لغات التّواصل والتّعليم والتّدريس والمحاضرات والكتابات في عِدّة أقطار عربيّة. وقد حكى لي أحد الشّباب من الكامرون طرفة في هذا الصّدد مفادها أنّ طالبًا موفودًا من بلاده أراد الالتحاق بجامعة الأزهر. وبدأ الدّراسة بعد الاَكْتِتاب في قسم الشّريعة والقانون (!)، لكنْ سُرعان ما عاد إلى بلاده. فسُئل: «لِم عدتّ بهذه السّرعة؟» فأجاب متأسّفًا: «إن القوم لا يدرّسوننا بالعربيّة بل بلغة الفراعنة الّتي لا أفهمها إطلاقًا!» فيا لَلعجب! كيف انحطّ الفكر واللّغة في الأزهر الشّريف إلى هذا الحدّ؟!.

لكنِ اللّغة العربيّة واحدة كما نعلم ولو كرِه المستشرقون والمستفرقون. إنّها تلك اللّغة الّتي لم تكن تحمل من ثقافة سوى الشّعر الجاهليّ والأمثال العربيّة قبْل أن يُردِ الله لها الخلود بنزول الوحي من قرآن وسنّة ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، [الشّعَراء: ١٩٥]. وتكفّل سبحانَه وتعالى بحفظها إذ قال: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾، [الحِجْر: ٩].

فكثُرتِ التّأليفات في العلوم الإسلاميّة وتنوّعت حتّى صارت المكتبة العربيّة من أثرى المكتبات العالميّة إن لم تكن أثراها على الإطلاق.

وأمّا طريقة وضع المعاجم العربيّة على غِرار الطّرائق الأجنبيّة فغريبة على اللّغة العربيّة التي تعتمد الجذور مادّةَ المشتقّات جميعًا. فتفضي هذه الطّريقة إلى تشتيت الأسرة المعجميّة الواحدة، ممّا يعرقل عمليّة البحث على متناوِل المعاجم الهجائيّة، لا سيما إن كان من طلّاب علوم اللّغة العربيّة. ضِفْ إلى ذلك ما تخلّفه هذه الطريقة بطبيعتها من إسقاط الكثير من المشتقات سهوًا وعجزًا عن إحصائها وجمعها بهذه الكيفيّة. فهي لا تصلُح للّغة العربيّة لأنها وضعت في الأصل للّغات الالتِصاقيّة كالإِنْكِليزِيّة والفَرنسيّة، لا للّغات الاشتقاقيّة.

وما أصدق الشّاعر حافظ إبراهيم إذ أنشد ناطقًا بلسان لغة الضّاد:

أرى لرجال الغرب عزًّا ومنعةً
وكم عزَّ أقوام بعِزّ لغاتي
أنا البحر في أحشائه الدّرّ كامنٌ
فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي

وأمّا من النّاحيَة الصوتيّة، فمنَ المعلوم ضرورةً أنّ الحروف العربيّة ثمانيَةٌ وعشرون ليس غير، وهي توقيفيّة نطقًا ورسمًا. وللعربيّة طريقة خاصّة في رسم الأصوات الأجنبيّة. فقد

عاملتِ العرب الأصوات في اللّغات الأجنبيّة بإخضاعها لأقرب صوت في لغتهم إن لم يكن لها ما يقابلها، كما أخضعوا الكلمات الأجنبيّة لأوزان عربيّة سواء بسواء على قاعدة «ما قيس على كلام العرب فهو منه». فاستبدلوا حرف الباء بال p الأجنبيّة (أوروبا/Europe) أو بال v (بَلَنْسَة/Valencia). والغين بال g (البرتغال/Portugal). والواو بال v (مناورة/manoeuvre)، وقد اشتُقّ من هذة الكلمة ألفاظ ناور، يناور، مناوِر، بحيث لا يشعر النّاطق بالعربيّة بأصلها الأجنبيّ، وهو منَ الفَرنسيّة... وهلمّ جرًّا.

على أنّ اللّغويّين قد أجمعوا على أنّ اللّغة، أيّة لغة، فيها قابليّة الإثراء على مستوى المعجم أي المفردات إذا أُخْضِع اللّفْظ الأَجْنَبِيّ لوَزْن من أَوْزان اللُّغَة الـمُقْتَرِضَة، لكنّها مهدّدة بالخطر إن هي تأثّرت على المستويات الأخرى من صوتيّة وصّرفيّة وتركيبيّة.

ورُغم ذلك فما فتِئ تلامذة المستشرقين وأتباعهم من العرب ينطقون أصوات اللّغات الأجنبيّة كما هي ويخترعون لها «أحرفًا» جديدة في اللّغة العربيّة وكأنّ هذه الأصوات مقدّسة لديهم! وهذا العمل متعمَّد بالنّسبة إلى المستشرقين ومريديهم لمحاولة النّيل من لغة كتاب الله وسنّة رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكتب العلوم الإسلاميّة بمختلِف أنواعها؛ لكنّ الأمر مجهول عند الكثير ممّن يقلّدونهم منَ المسلمين بمن فيهم العرب.

وهذِه الظّواهر بألوانها المختلِفة مَرْفوضة أَصْلًا لإخلالها بنِظامِ اللّغة العربيّة، وبالتّالي تَجِب مُقاوَمَتُها ذوْدًا عن اللّغة العربيّة وصيانةً لها.

إن للّغة العربيّة ميزات لا وجودَ لها في غيرها من اللّغات: فلها قدرة ذاتيّة خاصّة على التّأثير والتّوسّع والانتشار. وهي جميلة، سهلة النّطق، مبنيّة على الاشتقاق الّذى لا حدودَ له في توسيع المفردات لاستيعاب المصطلحات العلميّة والتِّقَنيّة والمدنيّة والحضاريّة الجديدة. وقد حلّت بها القطريّة اللغويّة في كثير من ألفاظها وأصبحت عرضةً للعبث بمفرداتها في ترتيب المعاجم وللتّلاعب بحروفها، مثلها مثل الأمة الإسلاميّة في أوْصالها. ولا غروَ في ذلك، فالعربيّة وعاء الإسلام، وهي الآن كالأمّة، تحتاج إلى من يوحّدها ويصونها ويعيد إليها الاعتبار والمجد التّليد. ولا سبيلَ إلى ذلك بدون عودة سلطان الإسلام. فمن لهذه وتلك بدونه وهو وحدَه القادر على مزج الطّاقة العربيّة الكامِنة في اللّغة بالطّاقة الإسلاميّة الملازِمة للعقيدة والنّظام.؟! ■

بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة الهزيمة وتجارة المخدرات الفكرية

الحمد لله الذي لا دين إلا دينه، والصلاة والسلام على صاحب المحجة البيضاء، والشريعة الزهراء، وعلى آله وصحبه وسلم.

إن أخطر الأمراض التي تفتك بالجسد هي تلك التي تضرب جهاز المناعة، فإذا ما أُضعف جهاز المناعة، فتحت مضائق الجسد أبوابها لجحافل الجراثيم تفري فيه الأذى بلا حسيب أو رقيب. وفي هذا المجال، فإن من أبرز المزايا التي كانت تميز الحياة في ظل دولة الخلافة والتي نعاني اليوم ونجرع مرارة فقدها ميزتين:

الميزة الأولى هي حالة المناعة تلك والتي تمثَّلت بما يشبه القبة الحديدية الفكرية التي كانت دولة الخلافة تحوط بها المجتمع فتذبُّ عنه اللوثات والشبهات، وتُبقي الفكرة الإسلامية حصينة نقية طاهرة... وكم شهد التاريخ الإسلامي وفقهاؤه الأفذاذ من المناظرات الشهيرة التي قضت على رؤوس الفتنة وقبرتها وقطعت ألسنة موقظيها.

أما الميزة الثانية: فهي الشعور العام لدى الناس بالاعتزاز والانتماء والتمكين، شعور المسلم الذي عندما يمشي في شوارع الخلافة أنه يركن إلى ركن شديد، يمتلئ قلبه عزة وهو يسمع انتصار الأمير يوسف بن تاشفين على جيش ألفونسو الذي حرَّر طليطلة من جديد، يشهد أهازيج الفرح وزينة النصر ابتهاجًا بعودة القائد المظفَّر ألب أرسلان بعد معركة ملاذكرد التي فتحت بلاد الأناضول.

هاتان الميزتان الجليلتان: حصانة فكرية تنقي مفاهيم الإسلام من كل شائبة، ونفحة الاعتزاز بدين يصنع الانتصارات كل يوم، رافقتا تاريخنا الإسلامي وعزَّزت شخصية المسلم فغدت قويَّة مرهوبة، عصيَّة على الإضعاف، مَكينة على التضليل.

لم تغفل مؤامرات الكافر المستعمر بعد أن هدم دولة الخلافة عن هاتين الميزتين، ولا عن قدرتهما على إيقاظ المارد المسلم سريعًا بعد سقوطه؛ لذلك فقد ركزوا لهدمهما ترسانتهم الفكرية بقضِّها وقضيضها، واستدعَوا لها أساطيلهم الإعلامية والثقافية معزَّزة بجيش من علماء السوء ودعّار السياسة وقارعي طبول الفتنة.

ما المطلوب من وراء هذا كله؟ المطلوب إنتاج نموذج مسلم فاقد للثقة بنفسه، فاقد للثقة بأمته، مُخلخَل الفهم لدينه، وبالتالي يغدو هذا المسلم سهل التضليل والانخداع، طيّع الاستمالة، سريع الذوبان في حضارة الغرب، فاقد الغيرة على انتهاك حرمات أمته.

أما بالنسبة لتكريس ثقافة الهزيمة، فقد تولى كبرها في المقام الأول:

الخطباء والعلماء (إلا من رحم الله): علماء هم أصلًا مهزومون من الداخل، أو مغرِضون يأكلون على موائد السلاطين لقاء ترويجهم لثقافة الهزيمة بين الناس.

يتوضأ الشاب المسلم ثم يتوجه لصلاة

الجمعة وقد امتلأ قلبه أسى على ضحايا المسلمين في بورما، أو مجازر الصين في الأويغور، يدخل المسجد علَّه يسمع ما يرفع معنوياته أو ينعش إحباطه، وإذ به يرى الخطيب على المنبر، يحمل في يده سوطًا ثخينًا، ثم يبدأ بجلد المصلين بلا رحمة، نحن أمة لا خير فيها، أنتم جيل لا تستحقُّون النصر، كل الأمم متقدمة عليكم... وهكذا يخرج المسلم من المسجد وقد سُلخ جلده من سياط الشيخ فازداد يأسه سوادًا، وإحباطه اشتدادًا؛ حتى إذا ما بقي لديه وميضٌ من أمل تولَّى الإعلام إطفاءه وإخماده.

الإعلام، والعلماء، تتبعهم برامج التعليم المنهجي، ومواقع التواصل الفاسدة، وقوافل المثقَّفين المضبوعين بالغرب وسمومه... كلهم يعمل لتكريس ثقافة الهزيمة من الداخل، وبثِّ الشبهات التي تَفتن المسلم عن دينه.

أين تغطية الإعلام للانتشار الكاسح بفضل الله، لدعوة الخلافة في قارات الأرض الست؟! أين نقلهم لنتائج استطلاعات الرأي العام العالمية من قبل مراكز الدراسات الاستراتيجية كمركز بيوغلوبال، ومركز برينستون والتي تؤكد إحصاءاتها تلهف الشعوب المسلمة للعيش في ظل الشريعة؟ لا نسمع هذا، ولكننا نسمع هذا الإعلام ينقل بشغف أخبار الاعتقالات والملاحقات لهؤلاء الدعاة، لماذا؟ لأن أخبار الاعتقالات تفتُّ بالأعضاد وتكرِّس الهزيمة النفسية.

أين تغطية هذا الإعلام لعشرات الآلاف من النصارى واليهود والملحدين الذين يقرِّرون ترك حياة الضلال التي يعيشونها ثم يقفون ليشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، حتى نشرت صحيفة الغاريان البريطانية التحذيرات المتكررة أن هذا الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا (The Fastest Growing Religion) بل تقدِّر حساباتهم أن ديننا في غضون أربعة عقود فقط سينتزع مركز الصدارة العالمية ليصبح الديانة الأكبر والأولى في العالم. هذا كله ولا خلافة للمسلمين ولا مرجعية ولا قيادة، بل ونحن نواجه حربًا عالمية ممنهجة لتشويه الإسلام وإرهاب أهله.

نسألكم بالله، نسأل هذا الإعلام الأعمى ونسأل المشايخ الجلادين: أليست أخبار الحفَّاظ، والفقهاء والمجاهدين والدعاة وجحافل الأبطال اليوم في أمتنا هي الأَولى بخطابكم من قصص الفسَّاق والمتنازلين وعبَّاد الغرب؟؟

أليس التركيز على مواطن القوة وما أكثرها في أمتنا خيرًا لكم من لعب دور النائحة الثكلى على الشاشات والمنابر كل يوم.

وبالطبع لن تكتمل فصول الهزيمة من دون بث الشبهات التي تزعزع فكر المسلم وتلبِّس عليه مفاهيمه، تلك الشبهات التي ننام على بعضها ونستفيق على أخرى، شبهات وأباطيل تهدف إلى علمنة الإسلام وإفراغه من قوته ومضامينه، وتحويله إلى طقوس بيتية شعائرية كهنوتية، ما أبعدها عن نهج النبوة وسيرة قائدها العظيم... شبهات أشبه بالمخدرات الفكرية تشل الأعصاب وتقعدها عن العمل: اترك الدعوة للتغيير واجلس انتظر المهدي، اقعد واترك العمل السياسي، اقعد واترك التكاتف الحزبي مع إخوانك، اقعد، فلا

يوجد في الإسلام نظام سياسي، اقعد، فحكَّامك الطواغيت هم ولاة أمرك لا يجوز التغيير عليهم...!! اقعد، فالحق عليك لا على الحكام، هذا الجيل ليس هو جيل النصر، اقعد وتفرج على عرى الإسلام تنتقض عروة عروة...

مخدرات أضعفت الهمة وأوهنت النخوة والغيرة حتى غدا الشباب حائرًا تائهًا، يخاف من أقرب إخوانه، لا يملك القدرة على التمييز بين الغثِّ والسمين؛ سيما وأصحاب هذه البضاعة المزجاة تفتح لهم القنوات، وتنفق عليهم الدولارات، ويصدرون تحت ألقاب المفكر الإسلامي، والعلم العلاَّمة والحبر الفهَّامة، كلهم يلاحق هذا المسلم المسكين في تلفازه وجوَّاله، وبين صفحات كتبه وجدران جامعته ومسجده.

أيها الشباب، أيها الإخوة والأخوات:

هذا التحريف لديننا من له إلا أنتم؟! من ينفي عن الإسلام ذلك الأذى إلا سواعدكم؟! يقول الحبيب ﷺ: «**يحمِلُ هذا العلمَ من كلِّ خلَفٍ عدولُه ينفُونَ عنهُ تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المبطلينَ وتأويلَ الجاهلينَ**»

ألا تحبون أن تكونوا أنتم عدول هذا الخلف، هذا الجيل؟ تعلَّموا دينكم من علمائه الحقيقيين، وعلماؤه الحقيقيون لن تجدوا أكثرهم على الفضائيات ولا على موائد الحكَّام، احذروا أية دعوة تدعوكم إلى القعود أو اليأس أو زعزعة الثوابت التي روَّاها أجدادكم الفقهاء بمدادهم ودافع عنها أمراؤكم الخلفاء بدمائهم.

رسولكم يقول: لا تفتُّوا بأعضاد الناس، رسولكم يقول: «**بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ، وَالدِّينِ وَالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ**» نحن بإذن الله لا غيرنا، وجيلنا لا غيره هو من سيشهد التغيير بحول الله وقوته. ثقوا بالله، وثقوا بأمتكم التي يرتعد الغرب وأساطينه ليل نهار من صحوتها، وهو يعلم كم هي حبلى بالأبطال والأخيار.

أنتم لستم غثاء، وإلا فلماذا تحاربكم قادة الأرض وتحذر من وحدتكم ليلَ نهار؟! أنتم من هزم أمريكا ومرغ أنفها مرارًا بتراب أفغانستان، أنتم من أسقط أربعة أنظمة كان يظن البعض أنَّه ما لها من زوال. أنتم من يقدم التضحيات في فلسطين وقد مرغ ستَّةٌ من أبنائكم كبرياء بني صهيون بملعقة طعام... ما أعظمكم وأعظم أمتكم، ما أعظمها في عقيدتها الجامعة، الجذَّابة، المقنعة، التي تشقى بفقدها أنظمة العالم فتمشي مُكبَّة على وجهها... ما أعظم أمتَنا في أبنائها الشباب، وكم يتمنى الغرب الذي هرمت ظهور عجَّازه أن يكون له ما عندكم من ريعان الشباب وهمته ونضارته... ما أعظم أمتنا في موقعها الاستراتيجي وثروات برِّها وبحرها التي حبانا الله وحرمها أشقياء الأرض وشذَّاذها... ما أعظمنا في شريعة ربنا التي قادت البشرية سابقًا، والقادرة وحدها اليوم على إنقاذنا بل وإنقاذ أمريكا وأوروبا وروسيا من وحل الرأسمالية التي يشقى بها حتى أهلها...

واللهِ، لا ينقصكم إلا قائدٌ ربانيٌّ حقيقيٌّ، تلتفُّ الأمة وراءه في بيعة على كتاب الله وسنَّة نبيه، تحيل هذه الأرض نورًا وعدلًا بعدما ملئت ظلمًا وجورًا... اللهم لا تُطِلْ بنا هذا العهد، واجعلنا من شهوده وأوليائه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

خبير أمريكي: (إسرائيل) أجهضت محاولات للانقلاب على السيسي

في مقابلة خاصة مع «عربي٢١»، كشف كبير المحللين السابق في وزارة الدفاع الأمريكية، الدكتور محمد كمال الصاوي، والذي شارك في العمل بـ «البنتاغون» منذ إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش الأب وحتى إدارة الرئيس السابق باراك أوباما الأولى.. كشف أن (إسرائيل) ساهمت في إجهاض أكثر من محاولة للانقلاب، أو التمرُّد على رئيس النظام المصري، عبد الفتاح السيسي، خلال السنوات الماضية. وأشار إلى أن «الإسرائيليين قدّموا العديد من النصائح والمعلومات والتوجيهات الاستخباراتية لحماية السيسي من أية مؤامرات تُحاك ضده؛ فهم يعتبرونه كنزًا استراتيجيًّا أكثر أهمية من الرئيس المخلوع حسني مبارك» ولفت الصاوي إلى أن «جهاز الاستخبارات الخارجية الإسرائيلي (الموساد)، قام بتزويد السيسي بمعلومات حساسة حول محاولات الانقلاب أو التمرُّد، خاصة أن الموساد لديه اختراقات كثيرة للأمن القومي المصري، ويجنِّد بعض الضباط في الجيش المصري، ويمتلك أحدث وسائل التنصُّت والتتبُّع والمراقبة والرصد والتحليل»، وفق قوله. وشدّد على أن «تل أبيب يهمها كثيرًا استمرار وبقاء الأنظمة التي تصفها بالصديقة والوفيّة، وتسعى جاهدة للحفاظ على أمنها أكثر من سعي تلك الأنظمة لحماية نفسها».

الوعي: إن مثل هذا الخبر يفضح أكثر وأكثر كيف أن هؤلاء الحكام يمكِّنون لـ(إسرائيل) وهي تمكِّن لهم، وأن العدوَّ المشترك بينهم هو الإسلام والمسلمون... والعبرة بالخواتيم، فمبارك يوصف اليوم بالرئيس المخلوع، فبمَ سيوصف السيسي في الدنيا، وكيف سيكون مصيره في الآخرة؟!.

أحاديث (إسرائيلية) متزايدة عن قرب التطبيع مع السعودية

تزايدت الأحاديث (الإسرائيلية) خلال اليومين الماضيين، عن قرب التوصل إلى اتفاق لتطبيع العلاقات مع السعودية. وفي هذا المجال، قالت وزيرة النقل ميراف ميخائيلي في تصريحات لإذاعة «ريشيت بيت» الرسمية إن العمل جارٍ للتطبيع مع السعودية، وتحديدًا في ما يتعلق بإتاحة المجال الجوي للمملكة أمام طائرات الاحتلال. وتابعت أن ما يجري هو «أخبار جميلة» إلا أنها بيَّنت وجود ضبابية في ما يتعلق بتوقيت الاتفاق بين الطرفين على التطبيع.

وفي سياق متصل، قالت صحيفة «هآرتس» إن رئيس وزراء الاحتلال نفتالي بينيت «بات قريبًا جدًّا من نيل الجائزة الكبرى»، والتي تتمثل في اتفاق التطبيع برعاية أمريكية. وبحسب «هآرتس»، فإن المبادرة الأمريكية المتعلقة بالصفقة «تثير تساؤلات العديد من الإسرائيليين لأنها تجعل تل أبيب تمنح تنازلًا رمزيًّا مقابل المخاطرة بدفع ثمن أكبر ما يكون رمزيًّا في المستقبل». ولفتت «هآرتس» إلى أن «إدارة الرئيس جو بايدن ترغب بشدة في إعادة تأهيل العلاقات الأمريكية السعودية بعد أن تعرَّضت للتوتر على خلفية مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي». وأوضحت أن «السعوديين وافقوا على السماح للرحلات الجوية من إسرائيل إلى شرق آسيا بالتحليق فوق أراضيهم، وبالتالي تقصير الرحلات لعدة ساعات وتقليل تكلفة التذاكر بشكل كبير». وتتابع أن «النية تتجه الآن لتقديم نفس هذه المنافع لشركة العال الإسرائيلية للطيران».

الوعي: يبدو إن تآمر آل سعود وخيانتهم للإسلام يصل مع سلمان وابنه إلى نهايته، فهذه العائلة المتسترة بالدين هي اليوم في وضع الانكشاف والانفضاح، ﴿لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ﴾... وواضح كيف أن الأمور تجري مع الأمة نحو التغيير الموعود: «خلافة على منهاج النبوة».

انعقاد «حوار طنجة» حول التعايش والحوار بين الأديان بالمغرب

انعقد في٢٠٢٢/٠٦/١٠م «حوار طنجة» حول الأديان بالمغرب، وقد استمر الحوار ليومين كاملين، قبل أن يُختم بإعلان طنجة حول حوار الأديان. وشارك في اللقاء مجموعة من المسؤولين رفيعي المستوى من أفريقيا وأوروبا، والخليج العربي والشرق الأوسط، بما فيها (إسرائيل). ويُناقش الحوار جُملة من القضايا الراهنة والملحة ذات العلاقة بموضوع التعايش والحوار بين الأديان، على مستويات مختلفة، سواء السياسي منها أو الاقتصادي أو الثقافي، وحتى التكنولوجي. وفي كلمة له في الجلسة الافتتاحية، أكد وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة أن المغرب فضاء للحوار والتعايش بين الثقافات. داعيًا إلى ضرورة أن يتحول هذا الحوار إلى تقليد وموعد منتظم. وأكد الوزير المغربي على دور بلاده في **التصدي للعنف والإرهاب**. وكذلك اعتبر وزير الخارجية الأميركي، أنتوني بلينكن، في كلمته الافتتاحية أن الحوار «فرصة **لمواجهة الكراهية** بالعمل المشترك»، وقال مستشار العاهل المغربي الملك محمد السادس، أندري أزولاي) سياسي يهودي مغربي يعمل مستشارًا خاصًّا للملك محمد السادس، كما عمل مستشارًا للملك الحسن الثاني، كما أنه يعتبر وجها لامعًا من الطائفة اليهودية بالمغرب): «المغرب منفتح على الجميع ويؤمن بحرية الأديان والمعتقدات... والثقافة المغربية في صورتها الراهنة هي تكثيف لـ٣٠٠٠ عام من الحضارة»، مبرزًا أن «الحضارة الإسلامية هي جزء من المكونات الثقافية ليهود المغرب... والمملكة أتاحت للجميع بمختلف أديانهم الحفاظ على شعائرهم الدينية». كما أبرز أن «عشرات آلاف اليهود يجتمعون في

المغرب في حرية وتسامح»، مؤكدًا «إيمان المغرب بحرية الأديان واحترامها»... هذا المستشار الملكي اليهودي ويتكلم باسم (إسرائيل) أكثر مما يمثل الملك.

الوعي: في ظل سيطرة الغرب وفكره عالميًّا، وما يفرضه من تبعية فكرية لمفاهيمه العلمانية، تنعقد مثل هذه المؤتمرات المشبوهة باسم الأديان والتي تتكثَّف وعلى أعلى المستويات العالمية وتتنافس فيما بينها من أجل احتواء الإسلام كونه يشكل تهديدًا مستقبليًّا للحضارة الغربيّة وذلك بنزع صفة المبدئية والعالمية ونزع صفة الحاكمية عنه.

تونس.. مشروع الدستور الجديد لن ينصّ على الإسلام دينًا للدولة

في تصريحات مثيرة، قال رئيس الهيئة الوطنية الاستشارية لإعداد دستور «الجمهورية الجديدة» في تونس، العميد صادق بلعيد، إنه سيعرض على الرئيس قيس سعيّد مسودة لدستور لن تتضمن ذكرًا للإسلام دينًا للدولة، بهدف التصدي للأحزاب ذات المرجعية الإسلامية على غرار حركة النهضة. وقال بلعيد، في حوار مع وكالة الأنباء الفرنسية، إنّ «٨٠٪ من التونسيين ضد التطرف وضد توظيف الدين من أجل أهداف سياسية، وهذا ما سنفعله تحديدًا، وسنقوم بكل بساطة بتعديل الصيغة الحالية للفصل الأول»، مشددًا، في رده على سؤال: هل يعني ذلك أنّ الدستور الجديد لن يتضمن ذكرًا للإسلام؟ بالقول: «لن يكون هناك». ولطالما انتقد الرئيس سعيّد نفسه البند الأول من دستور ٢٠١٤م، الذي ينصّ على أنّ «تونس دولة حرة مستقلة ذات سيادة، الإسلام دينها، والعربية لغتها، والجمهورية نظامها» بسبب التنصيص على أنّ الإسلام دين الدولة التونسية، مهاجمًا بشدة كل من يستشهد بهذا الفصل. وقال سعيّد، في فيديو سابق على صفحة الرئاسة، خلال موكب ديني في رمضان الماضي، إنّ «الإسلام هو دين الأمة وليس دين الدولة، ونحن لا نصلي أو نصوم بناء على الفصل الأول من الدستور، وإنما بأمر من الله». وأضاف سعيّد أنّ «الدولة ذاتٌ معنوية مثل الشركات، فما معنى أن يكون لها دين»، مشيرًا إلى أنّ «العلاقة مع الله وليست مع من يدعي أنه الجهة الوحيدة المخولة لعبادة الله».

الوعي: أولًا،لا بد من ذكر أن ما ذكرته الدساتير السابقة من أن دين الدولة الإسلام، إن هو إلا حبر على ورق ولا يساوي قيمته، وكلام ليس له نصيب في الواقع؛ ومع هذا فإن لدى الغرب، بعد ثورات (الربيع العربي)، توجه واضح لنزع صفة الهوية السياسية عن الإسلام، وعن الدولة في الدساتير حتى ولو كانت بالكلام فقط، إن في سوريا أو في ليبيا أو في تونس أو في اليمن أو العراق... أو في أي دولة أخرى من دول المنطقة. وإننا نقول لقيس سعيِّد وبلعيد وأمثالهم: إن صفة الإسلام للدولة هو أشهر من نار على علم، وتاريخ الدولة الإسلامية استمر لقرون، والغرب يعرفه ولذلك يحاربه، وأنتم تحاربونه معه...

قال الله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ
أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ
حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ
فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ٥٦﴾ [المؤمنون]

جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآيات:

يأمر تعالى عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال، والقيام بالصالح من الأعمال، فدلَّ هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أتمَّ القيام، وجمعوا بين كل خير قولًا وعملًا ودلالة ونصحًا، فجزاهم الله عن العباد خيرًا، قال الحسن البصري في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال: أمَا والله ما أمركم بأصفركم ولا أحمركم ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكن قال: انتهوا إلى الحلال منه. وقال سعيد بن جبير والضحاك ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ يعني الحلال. وكان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه، وفي الصحيح: **"وما من نبي إلا رعى الغنم"** قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: **"نعم، وأنا كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"**، وفي الصحيح: **"إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده"**، وقد ثبت عن أبي هريرة ﵁ قال، قال رسول الله ﷺ: **"يا أيها الناس، إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ **، وقال:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام؛ فأنَّى يستجاب لذلك؟!"** رواه مسلم والترمذي والإمام أحمد واللفظ له. وقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى

عبادة الله وحده لا شريك له؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾، وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي الأمم التي بعثت إليهم الأنبياء ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي يفرحون بما هم فيه من الضلال لأنهم يحسبون أنهم مهتدون، ولهذا قال متهددًا لهم ومتوعِّدًا ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ أي في غيِّهم وضلالهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي إلى حين هلاكهم، كما قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ يعني أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد، لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا، كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم، بل إنما نفعل بهم ذلك استدرجًا وإنظارًا وإملاءً، ولهذا قال: ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية، والآيات في هذا كثيرة. قال قتادة: مكر والله بالقوم في أموالهم وأولادهم، يا ابن آدم فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم؛ ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه"**، قالوا: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال: **"غشه وظلمه. ولا يكسب عبد مالًا حرامًا فينفق عبد مالًا حرامًا فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيء بالحسن، وإن الخبيث لا يمحو الخبيث"** أخرجه الإمام أحمد في المسند عن ابن مسعود مرفوعًا.

وجاء في تفسير الظلال لهذه الآيات:

"هذا الدرس الثالث في السورة يبدأ بتصوير حال الناس بعد أمة الرسل. تلك الحال التي جاء الرسول الأخير فوجدهم عليها. مختلفين متنازعين حول الحقيقة الواحدة التي جاءهم بها الرسل من قبل جميعًا. ويصور غفلتهم عن الحق الذي جاءهم به خاتم المرسلين ﷺ والغمرة التي تذهلهم عن عاقبة

ما هم فيه. بينما المؤمنون يعبدون الله، ويعملون الصالحات، وهم مع هذا خائفون من العاقبة، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون.. فتتقابل صورة اليقظة والحذر في النفس المؤمنة، وصورة الغمرة والغفلة في النفس الكافرة، ثم يجول معهم جولات شتى: يستنكر موقفهم مرة، ويستعرض شبهاتهم مرة، ويلمس وجدانهم بدلائل الإيمان في أنفسهم وفي الآفاق مرة، ويأخذهم بمسلماتهم فيجعلها حجة عليهم مرة، وينتهي بعد هذه الجولات بتركهم إلى مصيرهم المحتوم، ويتوجه بالخطاب إلى رسول الله ﷺ أن يمضي في طريقه، لا يغضب لعنادهم، وأن يدفع السيئة بالحسنى، وأن يستعيذ بالله من الشياطين التي تقودهم إلى الضلال المبين. ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ۝٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٥٤ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ۝٥٦﴾ لقد مضى الرسل صلوات الله عليهم أمة واحدة، ذات كلمة واحدة، وعبادة واحدة، ووجهة واحدة؛ فإذا الناس من بعدهم أحزاب متنازعة لا تلتقي على منهج ولا طريق. ويخرج التعبير القرآني المبدع هذا التنازع في صورة حسية عنيفة. لقد تنازعوا الأمر حتى مزَّقوه بينهم مِزقًا، وقطعوه في أيديهم قطعًا، ثم مضى كل حزب بالمزقة التي خرجت في يده. مضى فرحًا لا يفكر في شيء، ولا يلتفت إلى شيء! مضى وأغلق على حسِّه جميع المنافذ التي تأتيه منها أية نسمة طليقة، أو يدخل منها أي شعاع مضيء! وعاش الجميع في هذه الغمرة مذهولين مشغولين بما هم فيه، مغمورين لا تنفذ إليهم نسمة محيية ولا شعاع منير.

وحين يرسم لهم هذه الصورة يتوجه بالخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ...﴾ ذرهم في هذه الغمرة غافلين مشغولين بما هم فيه، حتى يفجأهم المصير حين يجيء موعده المحتوم. ويأخذ في التهكم عليهم والسخرية من غفلتهم؛ إذ يحسبون أن الإملاء لهم بعض الوقت، وإمدادهم بالأموال والبنين في فترة الاختبار، مقصود به المسارعة لهم في الخيرات وإيثارهم بالنعمة والعطاء: ﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ۝٥٦﴾ وإنما هي الفتنة، وإنما هو الابتلاء:﴿بَل لَّا يَشۡعُرُونَ﴾..لا يشعرون بما وراء المال والبنين من مصير قاتم ومن شر مستطير!". ■

بسم الله الرحمن الرحيم

أيام عشر ذي الحجة... الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ من غيرها

إنّ أعظم منن الله علينا أن خلقنا وهدانا، ومن هداه لنا أنه دلّنا على الخير وأرادنا أن نداوم عليه، وجعل لنا في محطات دهرنا نفحات ومواسم، وأراد لنا أن نتعرض لها ونستكثر فيها من العمل الصالح، ونتنافس فيها فيما يقرّبنا إلى ربنا... ومن هذه المحطات والمواسم **عشر ذي الحجة.** أما عن هذا الشهر فقد سُمي بذي الحجة لحجهم فيه، فهو شهر الحج الأكبر، ومن خصائص شهر ذي الحجة المتفق عليها أنه من الأشهر الحرم، وفيه العشر المباركة، قال السيوطي في (الدر المنثور): أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ قال: ذو القعدة وعشر من ذي الحجة. وأخرج أحمد والحاكم وصححه والبيهقي في (الشعب) عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ قال: إن العشر عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر. وفي قوله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج:٢٨]، قال ابن عباس وابن كثير يعني: «أيام العشر». وفي (الدر المنثور) أيضًا قال السيوطي: وأخرج محمد بن نصر في كتاب الصلاة عن أبي عثمان النهدي قال: كانوا يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأُوَل من المحرم، والعشر الأُوَل من ذي الحجة، والعشر الأخيرة من رمضان...

هذا وقد ورد في السنَّة في عشر ذي الحجة **خصوصيات جعلتها من الأيام التي تفضل عن غيرها، وجعلت لها من الأعمال ما يتضاعف الأجر والمثوبة بها.** أخرج البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**». وفي رواية عند الطبراني في الكبير: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ يُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ فِيهَا بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ**». وفي رواية عند الدارمي: «**مَا مِنْ عَمَلٍ أَزْكَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خَيْرٍ تَعْمَلُهُ فِي عَشْرِ الْأَضْحَى**». وأخرج الطيالسي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: حضرت

رسول الله ﷺ وذكر عنده أيام الْعَشْرِ فقال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعَمَلُ فِيهِ مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ**». **وفي هذه الأحاديث يبيِّن الرسول** ﷺ أن الجهاد لا يسبق العمل الصالح في هذه الأيام إلا في حالة واحدة، وهي أن يخرج المجاهد مخاطرًا بماله ونفسه فينال الشهادة ويفقد المال ولا يرجع بشيء. قال الشوكاني: والحديث فيه تفضيل أيام العشر على غيرها من أيام السنة. وقال ابن رجب في فتح الباري: «هذا الحديث نص في أن العمل المفضول يصير فاضلًا إذا وقع في زمان فاضل، حتى يصير أفضل من غيره من الأعمال الفاضلة لفضل زمانه، وفي أن العمل في عشر ذي الحجة أفضل من جميع الأعمال الفاضلة في غيره. ولا يستثنى من ذلك سوى أفضل أنواع الجهاد، وهو أن يخرج الرجل بنفسه وماله، ثم لا يرجع منهما بشيء. أما عن الحكمة في تخصيص عشر ذي الحجة بهذه المزية، فقد قال ابن حجر في الفتح: «والذي يظهر أنّ السبب في امتياز عشر ذي الحجة، لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يأتي ذلك في غيره". وكان الحسن البصري لا يتطوَّع بأي صيام وعليه قضاء من رمضان إلا في هذه الأيام العشر، وكان يقول: صيام يوم من العشر يعدل شهرين، وكان جابر بن زيد المحدث والفقيه تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما يعتمر في العشر الأوائل من ذي الحجة.

ومن خصوصيات العشر من ذي الحجة أنه يستحب لمن أراد أن يضحي أن لا يأخذ من شعره ولا من أظفاره شيئًا حتى يضحي، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلت العشر، وأراد أحدكم أن يضحي، فلا يمسَّ من شعره وبشره شيئًا**». قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، وفي رواية «**فلا يأخذن شعرًا ولا يقلمن ظفرًا**» والمراد بالنهي أن يبقى كامل الأجزاء ليعتق من النار.

ومن خصوصيات العشر من ذي الحجة سنيَّة صيامها، فعن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت: «**كان النبي ﷺ يصوم تسع ذي الحجة، ويوم عاشوراء، وثلاثة أيّام من كل شهر**» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم. وقال الإمام النووي عن صوم أيّام العشر أنّه مستحبٌّ استحبابًا شديدًا. وورد في صحيح ابن حبان عن حفصة رضي الله عنها قالت: «**أربع لم يكن يدعهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صيام يوم عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة**». وكان التابعي الجليل سعيد بن جبير رضي الله عنه إذا دخلت أيام العشر اجتهد اجتهادًا شديدًا حتى ما يكاد يقدر عليه، أي لا يجاريه أو يفوقه أحد، وكان يقول: أيقظوا خدمكم يتسحَّرون لصوم يوم عرفة، ولا تطفئوا سرجكم ليالي العشر، كناية عن طول القيام

وكثرة الأعمال الصالحة في هذه الأيام المباركة.

ومن خصوصيات العشر من ذي الحجة ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما من أيّام أعظم عند الله سبحانه ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد**». رواه الطبراني في المعجم الكبير. وقال الإمام البخاري رحمه الله: «كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيّام العشر يكبّران ويكبر النّاس بتكبيرهما». وقال أيضًا: «وكان عمر يكبّر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبّرون ويكبّر أهل الأسواق حتى ترتجَّ منى تكبيرًا". وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيّام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه، وفي فسطاطه، ومجلسه، وممشاه تلك الأيّام جميعًا. والمستحبُّ الجهر بالتكبير لفعل عمر وابنه وأبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين. ومن صيغ التكبير الواردة عن الصحابة والتابعين: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا) (الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر، والله أكبر، ولله الحمد) (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد).

ومن خصوصيات شهر ذي الحجة صيام يوم عرفة منه: يتأكد صوم يوم عرفة لغير الحاجِّ، لما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال عن صوم يوم عرفة: «**صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفِّر السنة التي قبله والسنة التي بعده**» رواه مسلم.

ففي أيام العشر هذه، يمكن للمسلم أن يقوم بكثير من الأعمال الصالحة ويضاعف الأجر فيها، ومنه: الصيام، والقيام، وقراءة القرآن، والدعاء، وبذل الصدقة، وذكر الله تعالى كثيرًا، وحسن الخلق، وصلة الأرحام وتقديم الأضحية، والاستغفار، والتوبة النصوح، والقيام بمصالح الناس، وإعانة أصحاب الحاجات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه الدعوة إلى إقامة الحكم بما أنزل الله، فإنه من أعظم القربات إذ فيه إقامة الدين كله... فباب الخير في هذه الأيام مفتوح على مصراعيه، ومعلوم أن عمل الخير الذي يتعدَّى صاحبه إلى غيره هو أفضل عند الله من عمل الخير الذي لا يتعدَّى صاحبه، وفي كل خير، فكيف بعمل الخير الذي يتعدَّى خيره إلى الأمة كلها، بل وإلى العالم أجمع؛ فإن فيه الخير كل الخير. ■

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمامة بن أثال رضي الله عنه

يضرب الحصار الاقتصادي على قريش

في السنَةِ السادِسَةِ للهجرَةِ عَزَمَ الرسولُ صلواتُ اللهِ وسلامه عليه عَلَى أن يوسِّعَ نِطاق دَعوتهِ إلى اللهِ، فَكَتَبَ ثمانِيةَ كُتُبٍ إلى ملوكِ العربِ والعجَم، وبعث بها إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام، وكان في جملة من كاتبهم ثُمامة بن أثال الحنفي. ولا غرو (لا عجب) ، فثُمامة قيل من أقيال العرب في الجاهلية (القيل هو الملك أو الرئيس وسمي بذلك لأنه إذا قال أمرًا نُفِّذ)، وسيد من سادات بني حنيفة المرموقين، وملك من ملوك اليمامة الذين لا يعصى لهم أمر.

تلقَّى ثمامة رسالة النبي عليه الصلاة والسلام بالزراية والإعراض، وأخذته العزة بالإثم؛ فأصمَّ أذنيه عن سماع دعوة الحق والخير، ثم إنه ركبه شيطانه فأغراه بقتل رسول الله ﷺ ووأد دعوته معه، فدأب يتحيَّن الفرص للقضاء على النبي ﷺ حتى أصاب منه غرة (غفلة)، وكادت تتمُّ الجريمة الشنعاء لولا أن أحد أعمام ثُمامة ثناه عن عزمه في آخر لحظة، فنجَّى الله نبيَّه من شرِّه؛ لكنّ ثمامة إذا كان قد كفّ عن رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فإنه لم يكفَّ عن أصحابه؛ حيث جعل يتربَّص بهم، حتّى ظفر بعدد منهم وقتلهم شر قِتلة؛ فأهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمه، وأعلن ذلك في أصحابه.

لم يمضِ على ذلك طويل وقتٍ حتى عزم ثمامة بن أثال على أداء العمرة، فانطلق من أرض اليمامة موليًا وجهه شطر مكّة، وهو يُمنِّي نفسه بالطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها... وبينما كان ثمامة في بعض طريقه قريبًا من المدينة نزلت به نازلة لم تقع له في حسبان؛ ذلك أن سريّة من سرايا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، كانت تجوس خلال الدّيار خوفًا من أن يطرق المدينة طارق، أو يريدها معتدٍ بشرٍّ. فأسرت السرية ثمامة (وهي لا تعرفه)، وأتت به إلى المدينة، وشدَّته إلى سارية من سواري المسجد، منتظرة أن يقف النبي الكريم بنفسه على شأن الأسير، وأن يأمر فيه بأمره.

ولما خرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى المسجد، وهمّ بالدخول فيه رأى ثمامة، مربوطًا في السارية فقال لأصحابه: «**أتدرون من أخذتم؟**» فقالوا: لا يارسول الله. فقال: «**هذا ثمامة بن أثال الحنفي، فأحسنوا أساره**». ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى أهله وقال: «**اجمعوا ماعندكم من**

طعام وابعثوا به إلى ثمامة بن أسد»، ثم أمر بناقته أن تُحلب له في الغدوِّ والرواح، وأن يقدَّم إليه لبنها، وقد تمَّ ذلك كله قبل أن يلقاه الرسول صلوات الله عليه أو يكلمه.

ثم إن النبي ﷺ أقبل على ثُمامة يريد أن يستدرجه إلى الإسلام وقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**». فقال: عندي يامحمد خير: فإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال؛ فسل تُعط منه ماشئت.

فتركه رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يومين على حاله، يؤتى له بالطعام والشراب، ويحمل إليه لبن الناقة، ثم جاءه، فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**». قال: ليس عندي إلا ماقلت لك من قبل: فإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسلْ تعطَ منه ماشئت. فتركه رسول الله ﷺ حتى إذا كان اليوم التالي جاءه فقال: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال: عندي ماقلت لك: إن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ماتشاء. فالتفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: «**أطلقوا ثمامة**»،

ففكُّوا وَثاقه وأطلقوه.

غادر ثمامة مسجد رسول الله ﷺ، ومضى حتى إذا بلغ نخلًا في حواشي المدينة (قريبًا من البقيع) فيه ماء أناخ راحلته عنده، وتطهَّر من مائه فأحسن طهوره، ثم عاد أدراجه إلى المسجد، فما إن بلغه حتى وقف على ملأٍ من المسلمين وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ثم اتَّجه إلى رسول الله ﷺ وقال: يامحمد، والله ماكان على ظهر الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك... وقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلها إليَّ. والله ماكان دينٌ أبغضَ إليَّ من دينك، فأصبح دينُك أحبَّ الدين كله إليّ. ووالله ماكان بلدٌ أبغضَ إليَّ من بلدك، فأصبح بلدُك أحبَّ البلاد كلها إليَّ. ثم أردف قائلًا: لقد كنت أصبت في أصحابك دمًا، فما الذي توجبه علي؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تثريب عليك يا ثمامة، فإن الإسلام يجبُّ ماقبله**». وبشره بالخير الذي كتبه الله له بإسلامه، فانبسطت أسارير ثُمامة وقال: والله لأصيبنَّ من المشركين أضعاف ما أصبت من أصحابك، ولأضعنَّ نفسي وسيفي ومن معي في نصرتك ونصرة دينك. ثم قال: يا رسول الله: إن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى أن افعل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**امضِ لأداء عمرتك؛ ولكن على شرعة الله ورسوله**»، وعلّمه ما يقوم به من المناسك. مضى ثمامة إلى غايته حتى إذا بلغ بطن مكة وقف يُجلجلُ بصوته العالي قائلًا: (لبيك اللهم لبيك... لبيك لا شريك لك لبيك... إن الحمد والنعمة لك والملك... لا شريك لك). فكان أول مسلم على ظهر الأرض دخل مكة ملبيًّا.

سمعت قريش صوت التلبية فهبت غاضبة مذعورة، واستلّت السيوف من أغمادها، واتجهت نحو الصوت لتبطش بهذا الذي اقتحم عليها عرينها. ولما أقبل القوم على ثمامة رفع صوته

بالتلبية، وهو ينظر إليهم بكبرياء؛ فهمّ فتى من فتيان قريش أن يرديه بسهمه فأخذوا على يده وقالوا: ويحك أتعلم من هذا؟! إنه ثمامة بن أثال ملك اليمامة. واللهِ، إن أصبتموه بسوء قطع قومه عنا الميرة (المؤونة) وأماتونا جوعًا. ثم أقبل القوم على ثمامة بعد أن أعادوا السيوف إلى أغمادها وقالوا ما بك يا ثمامة ؟!! أصبوتَ وتركتَ دينك ودين آبائك؟!! فقال: ماصبوتُ ولكن اتبعتُ خير دين، اتبعتُ دين محمد. ثم أردف يقول: أقسم برب هذا البيت، إنه لا يصل عليكم بعد عودتي على اليمامة حبة من قمحها أو شيء من خيراتها حتى تتبعوا محمدًا عن آخركم.

اعتمر ثمامة بن أثال على مرأى من قريش كما أمره الرسول صلوات الله وسلامه عليه أن يعتمر، وذبح تقرُّبًا لله لا للأنصاب والأصنام، ومضى إلى بلاده، فأمر قومه أن يحبسوا الميرة عن قريش، فصدعوا بأمره واستجابوا له، وحبسوا خيراتهم عن أهل مكة.

أخذ الحصار الذي فرضه ثمامة عن قريش يشتد شيئًا فشيئًا، فارتفعت الأسعار وفشا الجوع في الناس واشتدَّ عليهم الكرب، حتى خافوا على أنفسهم وأبنائهم من أن يهلكوا جوعًا. عند ذلك كتبوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إن عهدنا بك أن تصل الرحم وتحضَّ على ذلك، وها أنت قد قطعتَ أرحامنا، فقتلت الآباء بالسيف وأمتَّ الأبناء بالجوع. وإن ثُمامة بن أثال قد قطع عنا ميرتنا وأضرَّ بنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث إلينا بما نحتاج إليه فافعل. فكتب عليه الصلاة والسلام إلى ثمامة بأن يطلق لهم ميرتهم فأطلقها.

ظلَّ ثمامة بن أثال ما امتدت به الحياة وفيًّا لدينه، حافظًا لعهد نبيِّه، فلما التحق الرسول عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى، وطفق العرب يخرجون من دين الله زرافات ووحدانًا، وقام مسيلمة الكذاب في بني حنيفة يدعوهم إلى الإيمان به، وقف ثمامة في وجهه، وقال لقومه: يابني حنيفة، إياكم وهذا الأمر المظلم الذي لا نور فيه، إنه والله لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاءٌ على من لم يأخذ به. ثم قال: يابني حنيفة، إنه لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمدًا رسول الله لا نبيَّ بعده، ولا نبيَّ يشرك معه، ثم قرأ عليهم: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ٣].

ثم قال: أين كلام الله هذا من قول مسيلمة: (ياضفدع نِقِّي ما تنقين، لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين).

ثم انحاز بمن بقي على الإسلام من قومه ومضى يقاتل المرتدين جهادًا في سبيل الله وإعلاء لكلمته في الأرض.

جزى الله ثُمامة بن أثال عن الإسلام والمسلمين خيرًا... وأكرمه بالجنة التي وعد المتقون. ■

مضاوي الرشيد: التطبيع مع (إسرائيل) ثمن لقاء بايدن بابن سلمان

في مقال لها نشرته في موقع «ميدل إيست أي» البريطاني، وترجمته «عربي٢١»، قالت الأكاديمية والمعارضة السعودية، مضاوي الرشيد إن التطبيع مع الاحتلال (الإسرائيلي) سيكون ثمن لقاء الرئيس الأمريكي جو بايدن بولي العهد السعودي محمد بن سلمان. وذكرت أن الأخبار الأخيرة تشير حول انعقاد محادثات جادة وسرية على مستويات عالية مع المسؤولين (الإسرائيليين) إلى أن المملكة العربية السعودية على وشك الإعلان رسميًّا عن نجاح هذه المباحثات، وربما يعلن عنه أثناء الزيارة المتوقعة للرئيس الأمريكي جو بايدن إلى الرياض خلال الأسابيع القادمة. ولفتت إلى أن ابن سلمان «لا يضيع فرصة سانحة لتذكير الجماهير المحلية والدولية بأنه لا يعارض التطبيع»... وذكرت أنه «خلال زيارة قام بها مؤخرًا إلى واشنطن شقيق ولي العهد خالد، أشار في بعض اللقاءات الخاصة إلى **استطلاع رأي مريب** يزعم بأن السعوديين ممن هم دون الثلاثين يؤيدون بشكل متزايد التطبيع، بما يضفي الشرعية على قرار مسبق بالمضي قدمًا في تطبيع العلاقات مع (إسرائيل)» وتستخدم المملكة العربية السعودية التطبيع مع (إسرائيل) كورقة مساومة لاستعادة وضعها المميز في واشنطن... وذكرت أنه ما من شك في أن (إسرائيل) تساعد في إعادة تأهيل ولي العهد وتحسين صورته؛ حيث تزيد مراكز البحث والتفكير وجماعات الضغط التابعة لها في واشنطن من دعاياتها التي تستهدف تحسين صورة ابن سلمان. ومن المفارقات أن (إسرائيل) غدت اليوم أكبر وكالة دعاية تعمل لصالح المملكة العربية السعودية في واشنطن... وكذلك يريد ابن سلمان من بايدن التعهد بدعم مساعيه لأن يتوَّج ملكا بعد وفاة والده؛ إذ لا يمكن التغلب على عدم اليقين بشأن مستقبله إلا إذا باركت الولايات المتحدة رسميًّا قيادته للمملكة. وأضافت أن «ولي العهد السعودي يستخدم الذراع الاقتصادية للضغط على الرئيس الأمريكي، حتى يرمِّم صورته ويتراجع عن سياسة واشنطن» ضده. وأشارت إلى أنه بالفعل، يبدو أن النفط نجح في تذليل الصعاب التي كانت تشوب العلاقة بين الرياض وواشنطن... ويعلم بايدن أن المملكة العربية السعودية عنصر مهم في مساعيه لكسب الحرب ضد روسيا. في مقابل ضخ المزيد من النفط سوف يكافأ ولي العهد بزيارة يقوم بها رئيس الولايات المتحدة إلى المملكة، إلا أن بايدن لا يرغب في خسارة ماء وجهه بالكامل، ويبدو كما لو أنه تعرض للهزيمة أمام حاكم مستبد ظالم، بل يجب أن يعود إلى واشنطن بإعلان تاريخي. وهو الوصول إلى اتفاق تطبيع بين السعودية و(إسرائيل)؛ ولذلك، فإن الاتفاق الأمني مع واشنطن سيكون الجائزة المتوقعة من رئيس أمريكي متردد... وسوف يعرض ولي العهد تطبيعًا كاملًا مع (إسرائيل).

الوعي: إن تتويج ابن سلمان ملكًا أهم عنده من التطبيع مع (إسرائيل)... وهذا التطبيع إن حدث اليوم أو تأخر، فإنما يعتبر عند آل سعود من العلاقات المشروعة... وحكام السعودية لا يختلفون عن حكام المنطقة بشيء خيانةً وخداعًا ونفاقًا للأمة ولدينها واتباعًا للغرب... واليوم يزيد شرهم بالتطبيع مع (إسرائيل). ■

مؤتمر «حوار الأديان» بقطر بحضور مئات من العلماء يبيعون دينهم بدنيا أسيادهم

في ٢٠٢٢/٠٥/٢٤م، انطلقت فعاليات مؤتمر الدوحة الرابع عشر لحوار الأديان بالعاصمة القطرية، بمشاركة ٣٠٠ من علماء وقادة دينيين وباحثين وأكاديميين وإعلاميين من ٧٠ دولة. وهي تعقد تحت شعار الأديان وخطاب الكراهية بين الممارسة والنصوص. ويعقد على مدى يومين، ويناقش ثلاثة محاور أساسية هي: «**خطاب الكراهية** من حيث مفهومه وأسبابه ودوافعه» و«أنماط وأشكال **خطاب الكراهية**» و»سبل مواجهة **خطاب الكراهية**». وفي افتتاح المؤتمر، قال وزير الدولة للشؤون الخارجية القطري، سلطان بن سعد المريخي، إن بلاده تؤمن بأنه «لا سبيل للتعايش والتعاون بين الأفراد والجماعات والدول إلا من خلال الحوار البنَّاء المنطلق من الاعتراف بالآخر واحترام ثقافته ومعتقداته ومقدساته». وقال رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان إبراهيم بن صالح النعيمي، في تصريح صحافي، إن المؤتمر يمثل ملتقًى فكريًّا تشاوريًّا بين كوكبة مختارة من علماء الأديان والأكاديميين ورؤساء مراكز حوار الأديان من مختلف أنحاء العالم، مشددًا على أن المؤتمر سيركز على المشتركات، والدعوة إلى «كلمة سواء» بين الديانات السماوية لإيجاد أرضية للتعايش المشترك لمصلحة الإنسانية، بعيدًا عن نقاش الأمور العقائدية الخاصة بكل ديانة. وفي الجلسة الأولى للمؤتمر، قال الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي القره داغي، إن «العلاقة بين الشعوب حسب فقه الميزان مبنية على التعارف والتلاقي.

***الوعي*:** إنه مؤتمر سياسي ذو طابع ديني، وليس مؤتمرًا دينيًّا... إنه مؤتمر **يراد منه** تحقيق أهداف سياسية، وهو تطويع الإسلام خصوصًا للتعامل معه كدين أخلاقي كهنوتي، وليس دينًا سياسيًّا فيه تشريع لكل أمور الحياة... **ويراد منه** اعتبار أي دعوة فيه خارج هذا الإطار إنما هي دعوة **إلى الكراهية** تجب مواجهتها... **ويراد منه** الدعوة الخفية إلى دين عالمي جديد (يركز على المشتركات، والدعوة إلى «كلمة سواء» بين الديانات السماوية لإيجاد أرضية للتعايش المشترك لمصلحة الإنسانية، بعيدًا عن نقاش الأمور العقائدية الخاصة بكل ديانة) كما صرح رئيس مجلس إدارة مركز الدوحة الدولي لحوار الأديان إبراهيم بن صالح النعيمي. **ويراد منه** إظهار أن ما يصدر عن المؤتمر هو الموقف الشرعي بدليل مشاركة (كوكبة مختارة من علماء الأديان والأكاديميين ورؤساء مراكز حوار الأديان من مختلف أنحاء العالم) كما أعلنوا... إنه مؤتمر يفضح مواقف علماء السوء، أذناب الحكام في الدنيا وشركائهم في الإثم يوم القيامة، الناعقين بتبريرات ما أنزل الله من سلطان، وذلك كما ورد في تصريح الأمين العام للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين علي القره داغي، إن (العلاقة بين الشعوب **حسب فقه الميزان مبنية على التعارف والتلاقي**).